الفصل الثاني

تعليمه وثقافته

١ – عبد الصمد بن عبد الأعلى أشهر مؤدبيه

كان عبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة أَوَّلَ مُؤَدِّبي الوليد بن يزيد ، وأصدَقَهُم مودةً له ، وأقواهم اتصالاً به ، اختاره يزيد بن عبد الملك ، وكَلَّفه بتربية ولده وتأديبه ، حين كبر وبلغ سن التعليم ، لمعرفته بمكانته الأدبية الرفيعة ، وثقته بقدرته التعليمية العالية .

وأخبار عبد الصمد فى أسرته وحياته قليلة ، وما وصل منها فيه اضطراب واختلاف شديد ، ولما له من دَوْرٍ بارزٍ فى تكوين شخصية الوليد ، وتشكيل ثقافته ، وما نُسِبَ إليه من اللهو والمجون والزندقة ، فإن من المهم استقصاء ما تَشَتَّتَ من أخبار أسرته وأخباره فى المصادر والمظان المختلفة ، لاستظهار أصله ، ونشأته ، ونشاطه العلمى ، واتجاهه الفكرى ، وتَجْلِيَةِ أثره فى ثقافة الوليد وسلوكه .

وجَدُّ عبد الصمد هو أبو عَمْرَة ، كان من الغلمان الذين سباهم خالد بن الوليد من عين التمر عندما فتحها سنة ثلاث عشرة للهجرة ، إذ وَجَدَ فى بَيْعَتِها أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل ، عليهم باب مغلقٌ ، فكسره عنهم ، وسأل عن أمرهم ، فقيل له : إنهم رَهائن ، فقسمهم فى أهل البلاء من قادته ، فصار أبو عمرة لشرحبيل بن حسنة[١] .

وفى شعر الفرزدق ما يَقْطَعُ بأن أبا عمرة عربىٌّ شيبانى أصلاً وصَلِيبةً لا وَلاءً ، فهو يُصَرِّحُ فى مدائحه لعبد الله بن عبد الأعلى بن أبى عمرة بأنه من صميم بنى مرة بن ذهل بن شيبان ، ومن أهل السيادة والتَّقَدُّم فيهم ، وأن جَدَّه أبا عمرة كان من الفتية الشيبانيين الذين احْتَجَزَهم كسرى رهائنَ حين أطلق الأسرى من رؤساء بكر ، الذين كان طلبهم وأخذهم فحبسهم بقلعة عين التمر ، بعد اندحار الفرس فى موقعة ذى قار أمام بكر وشيبان ، إذ يقول[٢] :

أَرِحْنى أبا عبد المَلِيكِ فما أَرَى ... شِفاءً من الحاجاتِ دونَ قَضائِها
وأَنتَ امرؤٌ للصُّلْبِ من مُرَّةَ التى ... لها مِنْ بَنى شيبانَ رُمْحُ لِوَائِها
همُ رَهَنُوا عنهم أباكَ فما أَلَوْا ... عنِ المُصْطَفَى مِنْ رَهْنِها لوَفَائِها
فَفَكَّ من الأَغْلالِ بكرَ بنَ وائلٍ ... وأَعْطَى يداً عنهمْ لهمْ مِنْ غَلائِها
وأَنْقَذَهُمْ من سِجْنِ كسرَى بنِ هُرْمُزٍ ... وقد يَئِسَتْ أَنْفَارُها مِنْ نِسائِها

(١) تاريخ الطبرى ٣ : ٣٧٧ ، ٤١٥ ، وسمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، والبداية والنهاية ٦ : ٣٥٠ .
(٢) ديوانه ١ : ١٠ .

وما عَدَّ مِنْ نُعْمَى امرؤٌ مِنْ عشيرةٍ لِوَالِدِهِ عَنْ قَوْمِهِ كَبَلائِها
أَعَمَّ علَى ذُهْلِ بنِ شيبانَ نِعْمَةً وأَدْفَعَ عَنْ أَمْوَالِها ودِمَائِها
وما رَهَنَتْ عن قَوْمِها مِنْ يَدِ امرئٍ نِزَارِيةٍ أَغْنَتْ لَها كَغَنَائِها
أَبُوهُ أَبُوهُمْ فى ذُراهُمْ وأُمُّهُ إذا انْتَسَبَتْ مِنْ مَاجداتِ نِسَائِها
وأنتَ امرؤٌ مِنْ آلِ شيبانَ تَسْتَقِى إلى دَلْوِكِ الكُبْرَى عِظَامُ دِلائِها
وأنتَ امرؤٌ مِنْ ذُهْلِ شيبانَ تَرْتَقِى إلى حَيْثُ يَنْمِى مَجْدُها مِنْ سَمَائِها
وقد عَلِمَتْ ذُهْلُ بنُ شيبانَ أَنَّكمْ إلى بَيْتِهَا الأَعْلَى وأهلُ عَلائِها

ويقول الفرزدق مُقَرِّراً تَحَدُّرَ عبد الله بن عبد الأعلى من بنى مرة بن ذهل بن شيبان ، ونصاعة نَسَبِه فيهم ، ونباهة أسرته بينهم ، مُعَظِّماً بَلاءَ بنى شيبان فى قتال الفرس يوم ذى قار ، ومؤكداً أنَّ جَدَّه كان أحد الغِلْمَة الذين قُدِّمُوا رَهَائِنَ لكسرى ، لضخامة قومه ، وسطوع مجدهم[٣] :

وأنتَ امرؤٌ لِلصُّلْبِ مِنْ مُرَّةَ التى تُقَصِّرُ عنها بَسْطَةُ المُتَطاوِلِ
هُمُ رَهَنُوا عنهمْ أباكَ لِفَضْلِهِ علَى قَوْمِهِ والحقُّ بادى الشَّواكِلِ[٤]
ولو عَلِمُوا أَوْفَى لِحَقْنِ دِمَائِهم وأَبْيَنَ فَضْلاً عندَ تلْكَ الفَواضِلِ
لهُم من أبيكَ المُصْطَفَى لاتَّقَوْا بِهِ أَسِنَّةَ كِسْرَى يومَ رَهْنِ القَبائِلِ
فَضَلْتُمْ بنى شيبانَ فَضْلاً وسُؤْدداً كما فَضَلَتْ شيبانُ بكرَ بن وائلِ
حَمَيْتُم مَعَدًّا يومَ كِسرى بنِ هُرْمُزٍ بِضَربةِ فَصْلٍ قَوَّمَتْ كُلَّ مَائِلِ

فالفرزدق يشهد شهادةً قاطعةً بعروبة أبى عمرة ، وأنه من بنى شيبان الخُلَّصِ الأقحاح ، بل من صَفْوتهمْ وعِلْيتهمْ . وشهادته تَدْفَعُ ما ذهب إليه بعض القدماء من أن أبا عمرة من موالى بنى شيبان[٥] ، ولو صَحَّ أنه وَوَلَدَه وَحَفَدَتَهُ كانوا من الموالى ، لَوَجَبَ أن يكون ولاؤهم لشرحبيل ابن حسنة ، سَيِّدِ أبى عمرة . ويزيد من قيمة شهادة الفرزدق بأصَالةِ عروبتهم أنه كان خبيراً بالقبائل بصيراً بأنسابها بَصراً دقيقاً ، فقد كان من الرواة الموثقين ، وكان شعره مصدراً من مصادر التاريخ الجاهلى ، إذ يصفه الجاحظ بأنه «راويةُ الناس وشاعرهم وصاحبُ أخبارهم»[٦] ، ويقول يونس

---

(٣) ديوانه ٢ : ١١٠ .

(٤) الحق بادى الشواكل : أخذه من قولهم : طريق ذو شواكل : أى تتشعب منه طرق عدة ، يريد أنهم كانوا فى موقف صعب .

(٥) سمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلد ٥ : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .

(٦) البيان والتبيين ١ : ٢٥٦ .

ابن حبيب العالم البصرى الصدوق المُثَبَّت[٧] مصوراً أهمية شعر الفرزدق فى حفظ التراث الجاهلى : «لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس»[٨] .

ونشأ أبو عمرة فى أسرة شرحبيل بن حسنة[٩] ، أحد كتاب رسول الله العشرة الأشراف[١٠] ، ومن القادة الذين أسهموا فى كفاح المرتدين ، وشاركوا فى فتوح الشام والأردن وفلسطين[١١] . ومات بطاعون عِمْوَاس بفلسطين سنة ثمانى عشرة للهجرة[١٢] .

وليس فى المصادر المتيسرة ما يجلو الغموض الذى يلف شخصية أبى عمرة وحياته ووفاته ، والغالب أن نشأته بالمدينة فى أسرة صحابى جليل فتحت له أبواب الثقافة العربية الإسلامية ، فحفظ شيئاً من القرآن ، وروى بعض الأحاديث ، وعرف أطرافاً من أشعار العرب وأخبارهم وأنسابهم .

ويبدو أن أبا عمرة لم يُعْقِبْ من الولد غيرَ ابنه عبد الأعلى ، وترجح أخبار حياة عبد الأعلى ، وصلاته بالأمراء والخلفاء الأمويين كعبد العزيز بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز أنه ولد فى نهاية العقد الثالث أو بداية العقد الرابع من القرن الأول . وقد شَبَّ فى جَوِّ المدينة العلمى الإسلامى[١٣] ، وأكب على طلب الحديث ، وتخصص فى روايته ، وأصبح من رجاله ، فهو يسلك فى الطبقة الرابعة من المُحَدِّثين[١٤] . وسمع عبدَ الله بن عمر بن الخطاب ، وحَدَّث عن عُبادةَ بن نسى ، وعمر بن عبد العزيز[١٥] . وأخذ الحديث عنه[١٦] خالد بن مهران البصرى[١٧] ، وسلمة بن المغيرة ، وشعيب

---

(٧) انظر ترجمته فى نزهة الألباء ص : ٤٩ .

(٨) البيان والتبيين ١ : ٢٥٦ .

(٩) فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٩ : أنه من ولد الغوث بن مر بن أدى طانجة . وفى بقية المصادر كالطبقات الكبرى ٧ : ٥١٤ ، والمعارف ص : ٣٢٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٦٢ : أنه حليف بنى زهرة بن كلاب ، وأن أمه حسنة مولاة معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وزوجة سفيان بن معمر ، تزوجها عبد الله بن عمرو بن المطاع الكندى ، فولدت له شرحبيل ، فنسب إلى أمه .

(١٠) الطبقات الكبرى ٧ : ٥١٤ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٨٠ ، والعقد الفريد ٤ : ١٦٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٩ .

(١١) تاريخ الطبرى ٣ : ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨٧ ، ٣٩٤ ، ٤٤٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٠٠ .

(١٢) المعارف ص : ٣٢٥ ، وأنساب الأشراف ١ : ٢١٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٠٢ ومعجم البلدان ٣ : ٧٢٩ ، والبداية والنهاية ٧ : ٩٣ .

(١٣) انظر ترجمته فى تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .

(١٤) سمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ و .

(١٥) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .

(١٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .

(١٧) سمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٨٧ ، وميزان الاعتدال ١ : ٦٤٢ .

ابن أبي جمرة ، وعبد الله بن المغيرة بن معيتب الشيباني الكوفي نزيل مصر[١٨] .

وعُنِيَ عبدُ الأعلى بالدراسات الأدبية التي كانت تمثل الجانب الثاني من جوانب الحياة العلمية بالمدينة . وكان شاعرا[١٩] . فاحتفل بالشعر الجاهلي والإسلامي ، واستوعب منه شيئاً كثيراً .

وانعقدت بينه وبين عبد العزيز بن مروان علاقة وطيدة ، ولا توضح أخبار عبد الأعلى متى بدأت العلاقة بينهما . ومن المحتمل أن يكون اتصل بعبد العزيز في المدينة ، ثم رحل معه إلى دمشق ، بعد غلبة عبد الله بن الزبير على المدينة ، وإجلائه عنها بني أمية ومروان بن الحكم[٢٠] . سنة أربع وستين ، فاستقر بدمشق ، وفيها توثقت علاقته بعبد العزيز ، واتسعت صلاته ببني أمية وأنصارهم ومواليهم ، فعرف موسى بن نصير[٢١] ، وتزوج أخته[٢٢] .

والتحق عبد الأعلى بعبد العزيز بن مروان في أثناء ولايته على مصر[٢٣] ، وعظمت منزلته عنده ، فَسَفَرَ بينه وبين أليون ملك الروم ، وأفلح في سفارته ، فأقطعه عبد العزيز أرضاً بالإسكندرية ، شَيَّد عليها داراً له[٢٤] . ثم عاد إلى دمشق بعد موت عبد العزيز ، وأقام بها ، ويظهر أن مكانته تَدَنَتْ في عهد الوليد بن عبد الملك ، وفي عهد سليمان بن عبد الملك ، وإن كانت له صلة ضعيفة بسليمان يدل عليها عمل ابنه عبد الله مؤدباً لأيُّوب بن سليمان[٢٥] .

وتلمع مكانته في أيام عمر بن عبد العزيز ، فقد غدا من موظفيه المقربين . وسعى له كما سعى لأبيه من قبل في بعض الأمور السياسية ، إذ بعثه عمر إلى أليون ملك الروم ، ليفاوضه في تبادل الأسرى بين المسلمين والروم ، ووفق في بعثته[٢٦] . وسَجَّل الفرزدق بعثة عبد الأعلى في شعره ، وأشاد بما بَذَل فيها من جُهْدٍ ، وما حَقَّق لها من نجاح ، وما رَدَّتْ عليه وعلى قومه من مجدٍ لا يبلَى على الدهر ، فقال[٢٧] :

أَتَرْضَى بَنُو شيبانَ للهِ دَرُّهُمْ وبكرٌ جميعاً كلُّ مُثْرٍ ومُعْدِمِ

---

(١٨) لسان الميزان ٢ : ٤٨٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٢٢ .

(١٩) لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٢٠) تاريخ الطبري ٥ : ٥٣٠ .

(٢١) أنظر ترجمته في البداية والنهاية ٩ : ١٧١ ، ووفيات الأعيان ٥ : ٣١٨ .

(٢٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ و .

(٢٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ٩ : ٥٧ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٧١ .

(٢٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ و .

(٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ١١٩ .

(٢٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ ظ .

(٢٧) ديوانه ٢ : ١٩٦ .

بأزدِ عُمانٍ أخوةً دونَ قَوْمِهم لقد رَغِمُوا فى رَأْيِهِم كلَّ مَرْغَمِ[٢٨]
فإنَّ أخاهَا عبدَ أعلَى بَنَى لها بأرضِ هرقلٍ والعُلاَ ذاتُ مَجْشَمِ
رَفيعاً مِنَ البنيانِ أثْبَتَ أُسَّهَ مآثِرَ لم تَخْشَعْ ولم تَتَهَدَّمِ

وربما توفى عبد الأعلى فى السنة الأخيرة من القرن الأول أو بعدها بقليل ، فإن سفارته بين عمر ابن عبد العزيز وأليون هى آخر ما حمله الرواة من أخباره .

وكان لعبد الأعلى ثلاثة أبناء هم : عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبد الصمد . وعبد الرحمن هو أول أبنائه وأكبرهم ، إذ به كان يُكنَّى[٢٩] . ويستنتج من أخباره أنه كان ميَّالاً إلى العلوم اللغوية والأدبية أكثر من ميله إلى العلوم الدينية ، فهو يُنْظَم فى الشعراء والخطباء البارعين[٣٠] ، ولا يُنْظَمُ فى المُحَدِّثين . ولم يكن له شأن فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، إذ لم يَشْتَغِلْ بالتَّعليم ، ولم يَتَبَوَّأْ مَنصباً رفيعاً . وقد اتهمه هشام بن عبد الملك بالزندقة فى السنوات الأخيرة من خلافته ، فاحتجزه ، وساقه مُكَبَّلاً بالأغلال إلى يوسف بن عمر واليه على العراق : فحبسه ، وعذبه حتى مات فى العذاب[٣١] .

وثانى أبناء عبد الأعلى وأوسطهم هو عبد الله[٣٢] . وفى شعر الفرزدق أن أمه من بنى شيبان[٣٣] . وكان عبد الله أشد إقبالاً على المعرفة من أخيه عبد الرحمن ، فألَمَّ بالعلوم الإسلامية وأتقنها ، ووسع ثقافته الأدبية والتاريخية وَعمَّقَها ، فكان مُحَدِّثاً مشهوراً[٣٤] ، وخطيباً مُفَوَّهاً[٣٥] ، وشاعراً معدوداً[٣٦] ، فعهد إليه سليمان بن عبد الملك بتعليم ابنه أيوب ، فكان فيما يرويه البلاذرى مُؤَدِّبَه وحَاضِنَه ورثَاهُ حين مات[٣٧] » .

واتهم المرزبانى عبدَ الله بأنه زَنْدَقَ أيوب : فَدَسَّ سليمانُ إلى ابنه سما فَقَتَلَه . وهى تهمة انفرد

---

(٢٨) رغموا : ذلوا . وهو يأخذ على قبائل ربيعة محالفتها للأزد بالبصرة ، ومنافستها للمضرية من تميم وقيس .
(٢٩) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .
(٣٠) البرصان والعرجان والعميان والحولان ص : ٨٢ .
(٣١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ .
(٣٢) ترجمته فى سمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .
(٣٣) ديوانه ١ : ١١ .
(٣٤) لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .
(٣٥) البرصان والعرجان ص : ٨٢ ، والكامل للمبرد ٢ : ١١٢ .
(٣٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ ، وسمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .
(٣٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ ، وانظر العقد الفريد ٤ : ٤٢٦ .

المرزبانى بروايتها ، ونقلها عنه ابن حجر[٣٨] ، ولم يُشِرْ إليها البلاذرىُّ وغيره من المؤرخين . وليس فى أخبار أيوب أنه مات مسموماً ، بل فيها أن أباه كان يُفَضِّله ويُرَشِّحُه للخلافة[٣٩] ، فمات أيوب سنة ثمان وتسعين ، فالتاع سليمان لموته ، وكادت كبده تَنْصَدِعُ حُزْناً عليه[٤٠] ، مما يَدْحَضُ قَوْلَ المرزبانى دَحْضاً . وكان المرزبانى معتزلياً[٤١] ، يميل إلى التَّشَيُّع فى المذهب[٤٢] ، فربما قادَة تَشَيُّعُه إلى وَضْع الخبر ، وربما وَضَعَهُ أحدُ رواةِ الشِّيعةِ . ثم رواه المرزبانى عنه ، فإن الخبر مَوْلَّد مُشْتَقٌّ من الخبر الذى يَدْمَغُ عبد الصمد بن عبد الأعلى بإفساد دين الوليد بن يزيد ، ومصنوع على شاكلته !

ومِثْلُهُ خَبَر آخر يقذف عبد الله بالزندقة ، رواه المبرد دون إسناد[٤٣] ، وحمله عنه ابن حجر[٤٤] . فقد زعم المبرد أن عمر بن عبد العزيز أوفد عبد الله ورجلاً من عَبْس[٤٥] إلى أليون ملك الروم ، ليدعواه إلى الإسلام ، فلما بلغا القيصر دعاه العَبسى إلى الإسلام ، ثم تَبِعَه عبد الله فَهَزِئَ منه أليون ، واتهمه بأنه لا يؤمن بالإسلام ولا بالنصرانية ، فأقر له عبد الله بأنه ملحد لا يعتقد بدين ، حتى إذا رجع عبد الله والعبسى ، وأخبرا عمر بما كان من أمر سفارتهما ، وخرجا ، رَدَّ عُمر العَبْسِيَّ وسأله عما كانَ من عبد الله ، فأخبره به ، فَلَعن عُمَرُ عبدَ الله ، وقال : «لقد كانت نفسى تأباه ، ولم أَحْسَبْهُ يَجْتَرِئُ على مثل هذا» !

والخبر مُوَلَّدٌ مُحَرَّف ، فعمر بن عبد العزيز لم يوجه عبد الله بن عبد الأعلى إلى أليون ، وإنما وَجَّه إليه عبد الأعلى بن أبى عمرة ، رَوَى ذلك ابن عساكر ، وقَيَّدهُ الفرزدق فى شعره ، وهو معاصر للأحداث ، وتقييده له يُؤَكِّدُ روايةَ ابن عساكر ويُوَثِّقها . ولو أَنَّ المبردَ استَبْدَلَ اسم الأب باسم الابن ، وأَحَلَّ عبد الله محل عبد الأعلى ، ونَقَلَ بقية الخبر بألفاظها أو بمعناها ، ولم يَسْتَرْسِل فى تَزْييفها

---

(٣٨) لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٣٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٣١ .

(٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٢٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٦ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٠٢ .

(٤١) تاريخ بغداد ١٣ : ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٥٠ ، ولسان الميزان ٥ : ٣٣٧ ، والوافى بالوفيات ٤ : ٢٣٦ .

(٤٢) وفيات الأعيان ٤ : ٣٥٤ .

(٤٣) الكامل للمبرد ٢ : ١١٠ .

(٤٤) لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٤٥) فى الكامل للمبرد ٢ : ١١٠ : عَنْس ، وهو مصحف عن عَبْس . والتصحيح من لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ . وكان للعبسيين وجود فى القصر الأموى ، فإن عبد الملك بن مروان تزوج ولادة بنت العباس بن جزء العبسى . وهى أم ولديه الوليد وسليمان . وكان للعباسيين نفوذ فى عهد عبد الملك ، وابنيه الوليد وهشام . (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٣٩٥ ، ٤١٩ ، ٥٤٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٣٦ ، ١١٦٠ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤١٧ ، ٧ : ٢٣٧) .

لكان مَا فَعَل من باب السَّهْوِ والنِّسْيان ، ولكنه أحكم تأليف الخبر الذى صَنَعَهُ إحكاماً شديداً ، وصرفه إلى القَدْحِ فى دين عبد الله ، فقد ذهب إلى أن عمر بن عبد العزيز أَوْصَى العَبْسى أن يحفظ ما يدور بين عبد الله وأليون ، وأن العبسى كان يجيد الرومية ، حتى يَتَسنى له أن يفهم كلام أليون ويستظهره ، وادَّعى أن عمر أمر العبسى بعد أن عاد أن يقص عليه خبر عبد الله ، فلما قَصَّهُ عليه . ذَمَّه عمر ، وطعن فى دينه ! وإنما دفع المبرد إلى الكذب والاختلاق تَحَامُلُهُ على بنى أمية ، فإن إنتماءه إلى الأزد جره إلى التَّعَصُّبِ لهم ولليمنية ، فروى الصحيح والسقيم من الأخبار ليعلى شأنهم[٤٦] ، وساقه إلى التَّحزُّبِ على المضرية وبنى أمية ، فحمل الموثق والمفتعل من الأخبار ليحط من قدرهم !

وارتفعت منزلة عبد الله فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فكان من رجال قصره البارزين ، وممن لهم كلمة مسموعة عنده ، ونشأت بينه وبين الوليد بن يزيد صداقة قوية[٤٧] . ومدح الفرزدقُ عبد الله ، ونَوَّه به تنويهاً رائعاً ، وسبب ذلك أن الفرزدق هجا مالك بن المنذر بن الجارود العبدى[٤٨] . قائد شرطة خالد بن عبد الله القسرى بالبصرة[٤٩] ، ونَدَّدَ بخالد نفسه ، وانتقد سياسته الإدارية ، والزراعية[٥٠] ، لما انطوت عليه من محاباةٍ لليمنية وحُلفائهم من الرَّبعية ، ومجافاةٍ للمضرية ، فحبسه خالد ، وظل فى حبسه إلى أن حَجَّ وأناب أخَاه أسداً على العراق ، فأطلقَ الفرزدق ، وَوَهَبَهُ لجرير ابن عطية[٥١] . فأسرع الفرزدق إلى دمشق ، وعاذ بالوليد بن يزيد ، ومدحه بعدة قصائد رجاه فيها أن يُؤَمِّنَهُ من الخوف[٥٢] ، وهو يقول فى إحداها مستعطفاً إياه أن يستشفع له عند هشام ، ليردَعَ خالداًعنه ، وَيْمَنَعَه من التَّعرضِ له بعد عودته من الحج[٥٣] :

أُرَجِّى أميرَ المؤمنينَ لحاجةٍ ... بِكَفَّيْكَ بعدَ اللهِ يُرْجَى قَضاؤُها
وأنتَ سماءُ اللهِ فيها التى لهمْ ... من الأرضِ يُحْيِى مَيِّتَ الأرض مَاؤُها
لنعم مُناخِ القومِ حَلُّوا رِحَالَهُمْ ... إلى قُبَّةٍ فوقَ الوليد سَمَاؤُها
بَنَاها أبو العاصى ومروانُ فَوْقَهُ ... ويُوسفُ قَدْ مَسَّ النُّجُومَ بِنَاؤُها

---

(٤٦) ضحى الإسلام ١ : ٣١٩ .
(٤٧) تاريخ دمشق مخطوطة مكتبة الأزهر المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ ظ .
(٤٨) الأغانى ٢١ : ٣٧٨ .
(٤٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٢٠ .
(٥٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٨١ ، والأغانى ٢١ : ٣٧٩ .
(٥١) الأغانى ٢١ : ٣٨٠ .
(٥٢) ديوانه ١ : ٧٨ ، ٣٣٦ ، ٤١١ ، ٢ : ٩٢ .
(٥٣) ديوانه ١ : ١٢ .

ومَدَح الفرزدقُ عبدَ الله بن عبد الأعلى ، وسأله : أنْ يَدْعُوَ الوليد إلى مراجعة هشام بن عبد الملك فى أمره ، فاستجاب له ، وكَلَّمَ الوليد ، فراجع هشاماً ، فَوَعَده أن يكُفَّ خالداً عن مطاردة الفرزدق ، فابتهج الفرزدق ، وطوق عبد الله بمدائح كثيرة ، اعترفَ فيها بما أسدى إليه من جميل ، إذ يقول(٥٤) :

فأبْلِغْ أبَا عبدِ الْمَلِيكِ رسالةً ... يَمينَ وفاءٍ لم تَنَظَّفْ بمَأْثَمِ(٥٥)
سَتَأْتِيكَ منى كلَّ عامٍ قصيدةٌ ... مُحَبَّرَةٌ نُوفيكَها كُلَّ مَوْسِمِ
جَزاءَ بما أوْلَيْتَنى إذْ حَبَوْتَنى ... بِجَابِيَةِ الَجولانِ ذَاتِ المخَرَّمِ(٥٦)

ويقول مُقَدِّراً كبَرَ طاقته ، وعظم مساعيه ، وما قَدَّمَ له من معروف ، فقد ساعده فى مِحْنَتِه ، ونجَّاه من المكروه حين تَخَلَّفَ كُلُّ من قصدهم عن نُصْرته وحمايته(٥٧) :

شكَرْنَا لِعَبْدِ اللهِ حُسْنَ بَلائِهِ ... غَداةَ كَفانَا كُلَّ نِكْسٍ مُوَاكِلِ(٥٨)
بِجابِيَةِ الَجوْلانِ إذْ عَمَّ فَضْلُهُ ... علينا وقِدْماً كان جَمَّ الفَواضِلِ
فلستُ وإنْ كانَتْ ذُؤابةُ دارِمٍ ... نَمَتْنِى إلى قُدْمُوس مَجْدٍ حُلاحِلِ(٥٩)
وإنْ حَلَّ بَيْتِى مِنْ سَماءٍ مُجَاشِعٍ ... بمنزلةٍ فَاتَتْ يَدَ المُتَناوِلِ
بِنَاسٍ لِبِكْرٍ حُسْنَ صُنْعِ أخِيهِمُ ... إلىَّ لَدَى الخذْلانِ مِنْ كُلِّ خَاذِلِ
كَفانَا أموراً لمْ يَكُنْ لِيُطِيقَها ... مِنَ القَوْمِ إلاَّ كامِلٌ وابنُ كَامِلِ

واستمرت لعبد الله وَجَاهَته وسلطته إلى أن فسدت العلاقة بين هشام بن عبد الملك ، والوليد ابن يزيد فى أوائل العقد الثالث من القرن الثانى ، وأخذ هشام يَتَعَقَّبُ أعوان الوليد وخاصته ، ويَصُبُّ عليهم أنواع الأذى والظلم صبًّا ، لِيُحَارِبَ الوليد باضطهادهم واغتيالهم ، فانحطت مكانة عبد الله ، ويزعم الجاحظ(٦٠) أن هشاماً اعتقله وأرسله إلى يوسف بن عمر الثقفى واليه على العراق ،

(٥٤) ديوانه ٢ : ١٩٥ .
(٥٥) تنظف : تلطخ .
(٥٦) ذات المخرم : الشاهقة الشامخة ، أو التى فيها مخرج من البلاء .
(٥٧) ديوانه ٢ : ١١٠ .
(٥٨) النكس : الضعيف المقصر عن غاية النجدة والكرم . والمواكل : العاجز كثير الاتكال على غيره .
(٥٩) القدموس : القديم . والحلاحل : الضخم .
(٦٠) الغالب أن الجاحظ خلط فيما أورد من رواية المدائنى التى تتحدث عن مصير أبناء عبد الأعْلَى ابن أبى عمرة الشيبانى بين عبد الله وأخيه عبد الرحمن ، لقلة تدقيقه فيما ينقل من الروايات التاريخية ، لأن غايته من كتبه الأدبية التى تشتمل على الأخبار والأشعار والنوادر كانت تثقيف القراء ، والترويح عنهم ، فلم يكن يكلف نفسه مشقة التَّثَبُّتِ والتمحيص والرجوع إلى ما بين يديه من كتب ومصادر ، وإنما كان يرتجل القول ارتجالاً ، ويسوقه فى كثير من التجاوز والتسامح ، ويدفعه كما ورد فى خاطره ساعة كتابته أو إملائه . (انظر مصادر الشعر الجاهلى وقيمها التاريخية ص : ٦٠٨) .

فَنَكَّلَ به وقَتَله[٦١] . ولكن البلاذرى يذكر عن أستاذه المدائنى أن هشاماً لم يَمْسَسْ عبد الله بسوء ، بل تركه حُرًّا طَلِيقاً ، وقبض على أخويه عبد الرحمن وعبد الصمد ، فَتَشَفَّعَ عبد الله لهما عنده ، فقال له : أنت على دينهما ! فقال : أنا عليه ، والله ما يدينان إلاَّ بالإسلام ، فلم يَقْبَلْ شفاعته فيهما ، وأمر به ، فأخرج عنه ، وقال : لا يُسَاكِنُنى ، ولا يكلمه أحد[٦٢] . فلزم عبد الله مسجد دمشق مُطَّرحاً منْبوذاً . وينقل البلاذرى عن المدائنى خبراً آخر يصور تطور حال عبد الله ، وما كان له من النباهة ، وما صار إليه من المذلة والمهانة . فيقول : «قال رجل من قريش : قدمت الشام . فرأيت عبد الله بن عبد الأعلى ، فَتَمَنَّيْتُ أن تكون حالى مثل حاله . ثم غبت أعواماً ، وقدمت الشام ، فإذا هو مُفْرَد لا يجالسه أحد ولا يكلمه : فقلت له : إنى قدمت الشام منذ أعوام فرأيتك فى حال تمنيت أن أكون فى مثلها ، وأنت اليوم على ما أرى . فقال : بلغ قومنا عنا شىء ، فأخذوا بظاهر البلاغ ، ولم يَطَّلعوا على باطِن الغيب . ومن ورائنا ووراثهم الحساب»[٦٣] .

وكان لهذا التحول الذى طرأ على حياته أثر سيئ فى نفسه ، عَبّر عنه فى شعره الذى استفرغ عامته فى الزهد والمواعظ[٦٤] ، وهو يصدر فيه عن نفس محطمة مجروحة ، طعنت فى شرفها وكرامتها ودينها ، وفَقَدتْ حَيَويتَها ونشاطها . آسياً لما انتهى إليه من الخمول والنسيان ، وما سُلِّط عليه من البغى والعدوان ، إذ يقول فى بعضه[٦٥] :

مَنْ هُنا لى مِنْ صَديقٍ فَلْيَعُدْ ... لِيَعُدْنى إننى اليومَ كَمِدْ
مِنْ هُمومٍ تَرَكَتْنى قَلقاً ... قَلَقَ المِحْورِ بالقَتِّ المَسَدْ[٦٦]
ليتَ شِعرى ، ولليتٍ نَبْوة ... أينَ صارَ الروحُ مُذْ بان الجَسَدْ
بينَما المرءُ شهاب ثاقب ... ضَرَب الدهر سَناهُ فَخَمَدْ
غَالَهُ الدَّهْرُ وغَطَّى حَزْمَهُ ... وانْتَضَاهُ من عَديدٍ وَوَلَدْ[٦٧]

وعاش عبد الله إلى ما بعد سنة ست وعشرين ومائة ، إذ يروى البلاذرى أنه أدرك خلافة الوليد

---

(٦١) البرصان والعرجان ص : ٨٣ .

(٦٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٢ .

(٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٣ .

(٦٤) أمالى القالى ٢ : ٣١٩ ، وسمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٦٥) البرصان والعرجان ص : ٨٣ .

(٦٦) المحور : الحديدة التى فى وسط البكرة ، تدور عليها البكرة . وألقت : نوع من الليف أو الخوص . والمسد : الممسود أى الذى أجيد فتله . ويريد بالقت المسد : الحبل من الليف أو الخوص الذى أحكم فتله .

(٦٧) انتضاه : أخرجه وانتزعه .

ابن يزيد ، وأتاه فلم يؤذن له بالدخول عليه[٦٨] .

وعبد الصمد هو ثالث أبناء عبد الأعلى ، وأصغرهم[٦٩] . ويبدو أنه كان جاداً فى طلب العلم ، فحصل منه معارف متنوعة ، وورث عن أبيه موهبة الشعر والخطابة . فكان كأبيه وأخيه عبد الله من المُحَدِّثين[٧٠] ، ومن الشعراء والخطباء المشهورين[٧١] . وكانت له مكانة اجتماعية ، وعلمية وأدبية كبيرة . وهى مكانة هيَّأت له أن يشتغل بتعليم أبناء الطبقة الخاصة من الأمراء والخلفاء الأمويين ، ففى أخباره أنه عَلَّم بعض أبناء الأسرة السفيانية ، إذ يروى الجاحظ أنه كان مؤدباً لولد عُتْبَة بن أبى سفيان[٧٢] . وشركه فى نَقْلِ الخبر ابن قتيبة[٧٣] ، والمرزبانى[٧٤] ، وألحقا به وَصِيَّةً قالها عتبة لعبد الصمد حين كَلَّفه بتعليم ولده . وهم مخطئون فى نسبة الخبر والوصية إلى عتبة بن أبى سفيان ، لأن المؤرخين يجمعون على أن عتبة[٧٥] توفى فى مستهل خلافة أخيه معاوية سنة أربع وأربعين[٧٦] وعبد الصمد لم يكن وُلِدَ فى هذا التاريخ . وأضاف ابن عبد ربه الوصية إلى عمرو بن عُتْبة[٧٧] لا إلى عتبة بن أبى سفيان ، ولم يذكر اسم المؤدب الذى قيلت له . وهو واهم فى ذلك أيضاً لأن عمرو ابن عتبة قتل فى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث سنة ثلاث وثمانين[٧٨] ، وعبد الصمد لم يكن كبر ، وأصبح من العلماء فى هذا التاريخ ، بل كان صغيراً لم يجاوز العاشرة من عمره على وجه التقريب . وربما كان عبد الصمد مُعَلِّماً لولد عُتْبَة بن عُتْبَة ابن أبى سفيان[٧٩] ، فالتبس اسم عتبة بن عمرو باسم جَدِّه عُتْبَة بن أبى سفيان .

---

(٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٦٩) ترجمته فى تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة ١٦٨و ، ولسان الميزان ٤ : ٢١ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٦٢٠ .

(٧٠) لسان الميزان ٤ : ٢١ ، وميزان الإعتدال ٢ : ٦٢٠ .

(٧١) البرصان والعرجان ص : ٨٢ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة ١٦٨ و .

(٧٢) البيان والتبيين ١ : ٢١٠ .

(٧٣) عيون الأخبار ٢ : ١٦٦ .

(٧٤) نور القبس ص : ١٨٧ ، وانظر النجوم الزاهرة ١ : ١٢٣ .

(٧٥) ترجمته فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الأول ص : ٦٩١ ، ونسب قريش ص : ١٢٥ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٦٨ ، ٤ : ١٣٨ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١١١ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٢٢ ، ونور القبس ص : ١٨٦ .

(٧٦) النجوم الزاهرة ١ : ١٢٥ ، ونور القبس ص : ١٩٠ . وروى ياقوت الحموى أن عتبة توفى سنة أربع وسبعين ، وهو مخطئ فى ذلك . (انظر معجم البلدان ٤ : ٦٧٥) .

(٧٧) العقد الفريد ٢ : ٤٣٦ .

(٧٨) جمهرة أنساب العرب ص : ١١٢ .

(٧٩) نسب قريش ص : ١٣٣ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١١٢ .

ونصطدم بعد ذلك بروايات تَدْمَغُ عبد الصمد بالزندقة واللواط . أما الزندقة فتَحفَّظ المؤرخون المُتَقدِّمُونَ المُوَثِّقونَ المحايدون على قَذْفِه بها ، فقد ساق البلاذرى التهمة بصيغةٍ تدل على شكه فيها ، إذ قال : « قالوا : وكان فيما يزعمون زنديقاً »[٨٠] . ويظهر أن رواية المدائنى التى أخذها عنه تلميذه البلاذرى أخذاً مباشراً ، وأخذها عن غيره من الإخباريين ، لأنه قَدَّم لها بسند جماعى عام ، لا تؤكد اتهام عبد الصمد بالزندقة ، فإن رواية المدائنى كما حملها الطبرى بنصها الدقيق دون مُدَاخلةٍ بينها وبين روايات غيره من الإخباريين ، لا تستخدم فيها كلمة الزندقة ، فهى ترد عنده على هذا النحو : « وَلِىَ هشام وهو للوليد مُكَرَّم مُعَظَّمُ مُقَرَّب ، فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجونٌ وشُرْبُ الشراب ، حمله على ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى »[٨١] .

ورواة العباسيين هم الذين حَذَفُوا تَحرُّزَ البلاذرى من التهمة ، وهم الذين غيَّروا رواية المدائنى التى حملها الطبرى ، إذ نقل أبو الفرج رواية المدائنى عن الحسن بن على ، وهو مولى لعبد الصمد بن على الهاشمى [٨٢] . وهى ترد عنده مخالفة لما وردت عليه عند البلاذرى والطبرى ، فهى تقطع فى موضعين ذكرهما فيهما بزندقة عبد الصمد قطعا ، إذ يقول فى الموضع الأول : « وكان يرمى بالزندقة »[٨٣] ، ويقول فى الموضع الثانى : « وكان لوطيًّا زنديقاً »[٨٤] .

وَقَبِلَ المؤرخون المتأخرون رواية المدائنى كما ساقها رواة العباسيين مُعَدَّلةً مُغَيَّرة ، ولم يلتفتوا إلى أن لها صورة أقدم وأوثق ، ولم يَتَنبهوا إلى الفرق فى الدلالة بين نصها الأول الصحيح ، ونصها الثانى المُشَوَّه ، لأنهم وجدوا الرواية فى كتاب الأغانى ، فأخذوها منه ، وسَلَّموا بما جاءهم عن رواة العباسيين ، ورَوَّجوه ، وجعلوا اتهام عبد الصمد بالزندقة حقيقة ثابتة لامراء فيها ، يتضح ذلك عند ابن عساكر[٨٥] وعند ابن حجر [٨٦] .

وأما اللواط ، فالبلاذرى هو أول من روى اتهام عبد الصمد به بإسناد جماعى عام ، إذ يقول : « قالوا : وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى وفد على هشام ، وكان غلاماً وضيء الوجه ، فجعل يختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ، مؤدب الوليد بن يزيد بن

---

(٨٠) أنساب الأشراف . مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣١٠ .

(٨١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٤ .

(٨٢) تاريخ بغداد ٧ : ٣٦٩ .

(٨٣) الأغانى ٧ : ٣ .

(٨٤) الأغانى ٨ : ٢٧١ .

(٨٥) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة ١٦٨ و .

(٨٦) لسان الميزان ٤ : ٢١ .

عبد الملك ، فراوده عبد الصمد عن نفسه ، وأتى باب هشام ، فأذن له ، فدخل مُغْضَباً ، فقال :

إنَّه والله لولا أنتَ لمْ يَنْجُ منى سالماً عبدُ الصَّمدْ

قال هشام : ولم ذاك ؟ قال :

إنُه قدْ رَامَ منّى خُطَّةً لمْ يَرُمْها قَبْلَهُ منى أَحَدْ
فهو فيما كانَ منه كالذى يَتَبَغَّى الصَّيْدَ فى خِيسِ الأسدْ

فأساء هشام القول فى عبد الصمد ، وَهَمَّ به ثم أمسكَ»[٨٧] .

ثم نقل أبو الفرج الخبر ، وذكر سلسلة رواته ، مع تحوير يسير فى نصه يُضخِّم تهمة اللواط ويبرزها ، فقال : « أخبرنى الحسن بن على الخَفَّاف ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا الزبير بن بَكّار . قال : حدثنى عمى ومحمد بن الضحاك بن عثمان قالا : وفد سعيد بن عبد الرحمن ابن حسان على هشام بن عبد الملك ، وكان حسن الوجه ، فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فأراده على نفسه ، **وكان لوطيا زنديقاً** ، فدخل سعيد على هشام مُغْضَباً وهو يقول :

إنهُ والله لولا أنتَ لمْ يَنْجُ منى سالماً عبدُ الصمدْ

فقال له هشام : ولماذا ؟ قال :

إنه قد رامَ منى خُطَّةً لم يَرُمْها قَبْلَهُ منى أَحَدْ

فقال : وما هى ؟ قال :

رامَ جهلاً بى وجهلاً بأبى يُدْخِلُ الأفْعَى إلى خِيسِ الأسدْ

قال : فضحك هشام وقال له : لو فعلت به شيئا لم أنْكِرْ عليك »[٨٨] .

ومع أن سلسلة رواة الخبر تثير الشبهة فيه ، لأن مصدره مصعب بن عبد الله ، والزبير بن بكار ، وآخر رواته الحسن بن على ، مولى عبد الصمد بن على الهاشمى ، وكلهم كانوا يَمْتَعِضون من الأمويين ، ويُلفقون بعض الأخبار للتشهير بهم ، بسبب ميولهم الزبيرية وللعباسية ، فإن ما يشيع فى نص الخبر من تخليط عند رواة القرنين الخامس والسادس يزيد من الشك فيه ، ويوحى باختلاقه وتهافته ، فقد أثبته القاضى أحمد بن محمد الجرجانى كما يلى : « حُكِيَ أن مؤدباً لبنى مروان يسمى عبد الصمد ، **وكان الخليل بن أحمد فى مكتبه** ، فرام منه قبيحاً ، فدخل الخليل للوالى وقال :

إنه والله لولا أنتَ لم يَنْجُ منى سالماً عبدُ الصمدْ

---

(٨٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ .

(٨٨) الأغانى ٨ : ٢٧١ .

فقال الوالى : وما ذاك ؟ قال :

رامَ بى جهلاً وجهلا بأبى يُدْخِلُ الأفْعَى إلى خِيسِ الأسدْ [٨٩]

ومعروف أن الخليل بن أحمد ولد سنة مائة ، وتوفى سنة سبعين ومائة[٩٠] . ولم يغادر البصرة إلى دمشق على امتداد حياته . ويستبعد أن يكون التقى بعبد الصمد ، لأنه كان ملازماً للوليد بن يزيد ملازمة دائمة فى العقدين الأولين من القرن الثانى .

وساق ابن عساكر الخبر بصورة رابعة مضطربة مناقضة لصوره السابقة ، فقال : « كان عبد الصمد ابن عبد الأعلى مؤدبا **لسعيد بن هشام بن عبد الملك بن مروان** ، فعبث به يوماً ، فدخل سعيد على هشام ، فوقف بين يديه ، ثم أنشأ يقول :

إنهُ والله لولا أنت لمْ يَنْجُ منى سالماً عبد الصمدْ

فقال هشام : ولم ذاك ؟ فقال :

إنه قد رامَ منى خطةً لم يرمها قبلَهُ منى أحدْ

قال هشام : وما رام ؟ فقال سعيد :

رَامَ جَهْلاً بى وجَهْلا بأبى يُولِجُ العُصْفُورَ فى خِيسِ الأسَدْ

قال هشام : لا وكرامة »[٩١] .

فالخبر فاسدٌ عند ابن عساكر فساداً شديداً ، لأنه يعارض الحقائق التاريخية ، فعبد الصمد لم يُؤدبْ سعيد بن هشام ، وهو يخلط بين سعيد بن هشام ، وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ، وسعيد ابن عبد الملك ، وكان معبد الجهنى معلم سعيد بن عبد الملك[٩٢] .

ومما يُضَعِّفُ الخبر ، ويدل على اختلاقه أن أبا الفرج رواه عن غير الحسن بن على مولى العباسيين رواية ثانية لا تمت إلى اللواط بصلة ، بل تدور على الفكاهة والدعابة التى اشتهر بها الوليد بن يزيد ، فقال : « أخبرنى الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنى أبو سلمة الغفارى قال : أخبرنى أبو عاصم الأسلمى قال : بينا ابن يسار النسائى مع الوليد بن يزيد جالس على بركة إذ أشار الوليد إلى مولى له يقال له عبد الصمد فَدَفَعَ ابنَ يسارِ النسائى فى البركة بثيابه ، فأمر به بالوليد ، فأُخْرِجَ ، فقال ابن يسار :

---

(٨٩) المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ، للقاضى الجرجانى ص : ٣١ .

(٩٠) ترجمته فى الفهرست ص : ٤٢ ، ونزهة الألبا ص : ٤٥ ، وإنباه الرواه ١ : ٣٤١ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٨٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٤٤ ، ونور القبس ص : ٥٦ ، وبغية الوعاه ص : ٢٤٣ .

(٩١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٧٨ .

(٩٢) البيان والتبيين ١ : ٢١٠ .

قُلْ لِوَالِى العَهدِ إنْ لاقَيْتَهُ وَوَلِىُّ العَهْدِ أَوْلَى بالرَّشَدْ
إنَّهُ واللهِ لولا أَنْتَ لمْ يَنْجُ منى سَالِماً عبدُ الصَّمَدْ
إنه قَدْ رامَ منى خُطَّةً لم يَرُمْهَا قَبْلَهُ منى أَحَدْ
فهو فيما رام[٩٣] منى كالذى يَقْنَصُ الدُّراجَ مِنْ خِيسِ الأَسَدْ[٩٤]

فبعث إليه الوليد بخِلْعَةٍ سَنِيَّةٍ وَوَصَلَهُ وتَرَضَّاه »[٩٥].

والنص الأخير هو أصل الخبر فى الأعم الأرجح ، فهو يتفق مع ما يروى من أن إسماعيل بن يسار النسائى عاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلطان بنى أمية ولم يدرك الدولة العباسية[٩٦] وكان طَيِّباً مَلِيحاً مُنْدِراً بَطَّالا . وهو ينسجم مع ما يقال من أن الوليد بن يزيد غَنَّى فى شعرٍ له ، فسأل عن صاحبه فقيل له : إنه لإسماعيل بن يسار النسائى ، فكتب فى إشخاصه إليه[٩٧] ، فوفد عليه وقد أسَّ وضَعفَ ، فتوسل إليه بأخيه الغمر بن يزيد ، ومدحه[٩٨] .

ويَرْفَعُ من قيمة النص الأخير للخبر أنَّ أَصْلَهُ مدنى . فراوية الأول هو أبو عاصم الأسلمى ، أخذه عنه أبو سلمة الغفارى ، ثم حمله عنه عمر بن شَبَّة الذى عاصر الزبير بن بكار وعمه مصعباً وكان من المهتمين بتاريخ الأمويين ، إذ ألَّف كتاباً فى « مقتل عثمان بن عفان »[٩٩] .

ومقارنة بين نَصِّ الخبر الأخير ، ونَصِّ الخبر المولد الذى اشتق منه ، ونَحَلَهُ مصعب بن عبد الله ، والزبير بن بكار لعبد الصمد بن عبد الأعلى تكشف عما لحق نص الخبر الأخير من تزييف أَحَالَهُ عن معناه ومغزاه ، وَوَجَّهه للطعن فى الوليد بن يزيد ومؤدبه ، فقد استعاض الزبيريون عن إسماعيل بن يسار النسائى بسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ، ونسبوا إلى عبد الصمد أنه راوده عن نفسه ، وأن سعيداً شكاه إلى هشام بن عبد الملك ، مع أن هشاماً لم يكن مُسْتَلْطِفاً لسعيدٍ أو مَعْنِياً به ، فإنه لم يستقبله حين وفد عليه بدمشق مع جماعة من قريش ، ولم ينشط له[١٠٠] ، فاحتفل الوليد بن يزيد به وأكرمه[١٠١] . وأسقط الزبيريون البيت الأول من شعر إسماعيل بن يسار النسائى ، وهو يخاطب فيه

---

(٩٣) فى الأصل : ممارام .
(٩٤) الدراج : طائر على خلقه القطا إلا أنه ألطف منه ، باطن جناحيه أسود ، وظاهرهما أغبر . وخيس الأسد غايته ومكانته .
(٩٥) الأغانى ٤ : ٤١٣ .
(٩٦) الأغانى ٤ : ٤٠٨ .
(٩٧) الأغانى ٤ : ٤١٦ .
(٩٨) الأغانى ٤ : ٤٢٤ .
(٩٩) الفهرست ص : ١١٢ .
(١٠٠) الأغانى ٨ : ٢٦٩ .
(١٠١) الأغانى ٨ : ٢٧٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٤٩ .

الوليد بن يزيد ، ويدل على أصل القصة ، ويشهد بأنه زار الوليد وهو وَلِيُّ عهدٍ ، مما تُوَثِّقُهُ أخبار إسماعيل بن يسار النسائى التى ذكرها أبو الفرج . وأبقى الزبيريون الأبيات الثلاثة التى تحتمل التأويل ، والتى يمكن أن يُفْهَمَ منها أنها تشيرُ إلى أنَّ عبد الصمد بن عبد الأعلى حاول الاعتداء على سعيد . ولكى يزيلوا الغموض الذى يَلُفُّ دلالة الأبيات على اللواط ، عَدَّلوا الشطر الثانى من البيت الأخير ، إمعاناً فى صَرْفِ الخبر والشعر من الظَرْفِ والهَزْلِ البرىء إلى الفحش والزِّنا ، وافتناناً فى التَّعمية والتَّمْوِيهِ على الخبر المُخْتَلق .

ومنذ أن ألحق يزيد بن عبد الملك ابنه الوليد بعبد الصمد بن عبد الأعلى ليؤدِّبَه ، أحاط به عبد الصمد ، وظل مصاحباً له فى خلافة أبيه ، وفى أثناء ولايته للعهد مصاحبة لا انحراف فيها ولا غبار عليها . وكان فى عبد الصمد لباقة وكياسة وطرافة ، فلم تقتصر علاقته بالوليد على تعليمه وتربيته ، بل تطورت ، ونشأت عنها صداقة حميمةٌ بينهما .

فلما فترت الصلة بين هشام والوليد بعد سنة ست عشرة ومائة[١٠٢] ، وشَرَع هشام فى التدبير لِعَزْلِ الوليد عن ولاية العهد ، وراح يُجَرِّحُهُ ، ويَقْدَحُ فيه وفى مُؤَدِّبه ، لِيُنَفِّرَ الناس عنه ، ويستعديهم عليه ، ويدفعهم إلى المناداة بخلعه ، ازداد الوليد تَمسُّكاً بعبد الصمد ، واشتد إخلاص عبد الصمد له ، إذ ارتبط مصيره بمصير تلميذه وسيده ، ووَجَدَ فى الوليد ملجأً يأوى إليه ، ويمتنع به من ظلم هشام ، وجعل يَحُضه على التَّشَبُّثِ بولاية العهد ، ويحرِّضُهُ على مقاومة هشام ، ويَهْدِيهِ إلى مُنَاوَأَتِه ، ويَدُلُّهُ على ما يُفْسِدُ خُطَطَهُ ، ويُرْشِدُه إلى السُّخْرِيةِ منه ، والكيد لابنه مسلمة الذى كان يرشحه للخلافة[١٠٣] ، مما أثار هشاماً وأسخطه على الوليد وعبد الصمد . ولكنه كان عاجزاً عن العنف بهما ، والانتقام منهما ، لأن مسلمة بن عبد الملك – وكان أَجَلَّ إخوته – كان يَزَعُ هشاماً عن التَّعَرُّض للوليد ، ويَرْدَعُهُ عن الإساءة إليه[١٠٤] .

ولم يزل هشام مَغِيظًا من الوليد ، حتى تُوُفِّىَ مسلمة بن عبد الملك سنة عشرين ومائة[١٠٥] ، فأتيحت الفرصة لهشام ، فرَمَى الوليد وعبد الصمد بالضلال والإلحاد ، وعنُفَ بهما عُنْفاً شديداً ، فرحل الوليد وخاصته إلى الأزرق جنوبى عَمَّان ، ورافقه عبد الصمد فى رحلته ، وأقام معه بالأزرق ، وأخذ يسليه ويواسيه ، حاثًّا له على التَّجلد . وباعثاً فيه الأمل ، ومبشراً له بمستقبل باسم ،

---

(١٠٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٩٨ ، ٢٠٩ .

(١٠٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ .

(١٠٤) نسب قريش ص : ١٦٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٣ ، والأغانى ٧ : ٦ .

(١٠٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٨٥ ، ٢٨٨ .

وظل مرافقا له ، يُهوِّن عليه ، ويستطيل خلافة هشام ، ويتَمَنَّى هلاكه ، حتى يصفو الأمر للوليد ، وهشام يُراقبُها ، وتُنْقَلُ إليه أخْبارهُما ، حتى إذا بَلَغَه ما نظم عبد الصمد من شعر يعلن فيه قُرْبَ خلافة الوليد[١٠٦] ، خرج هشام عن طوره ، وكتب إلى الوليد أن يُسَلِّمهُ عبد الصمد ، فأرسله إليه مرغماً ، فسجنه هشام ، ثم بعث به إلى يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق ، فقتله صبراً[١٠٧] .

فهشام هو الذى اختلق تهمة الزندقة ، وألْصَقها بعبد الصمد ، ثم أشاع عليه أخباراً قبيحةً مخترعةً ، تُزرى به ، وتَحُطُّ من قدره ، وتَطْعَنُ فى دينه ، لأنه أيَّدَ الوليد بن يزيد ، ثم « بعث هشام بعبد الصمد وأخيه إلى يوسف بن عمر على أنهم زنادقة ، وأراد بذلك التَّشْنِيعَ على الوليد »[١٠٨] .

ذلك أكثر ما تَفَرقَ من أخبار عبد الصمد وأسرته ، وهو يُثبتُ بعد نَقْدِهِ ونَخْلِهِ أن عبد الصمد سليل أسرة عربية شيبانية عريقة ، يمتد تاريخها من نهاية العصر الجاهلى إلى بداية القرن الثانى الهجرى ، ويُبيِّنُ أن مكانة الأسرة إنما عظمت فى حياة عبد الأعلى بن أبى عمرة ، لما كان له من فَضْلٍ علمى وأدبى جعله مقصد طلاب العلم بدِمشق ، فأموه وتَحَلَّقُوا عليه يَنْهَلُون من معارفه ، ويروون عنه الأحاديث . ولكن اشتغال عبد الأعلى بالسياسة واتصاله بالأمراء والخلفاء الأمويين ، وعَمَلَهُ لهم وَطَّدَتْ مكانته ، وزادت شخصيته بريقاً وتألُّقاً ، فقد عرف عبد العزيز بن مروان فى المدينة ودمشق ، فاطمأن عبد العزيز إليه ، واستدعاه إلى مصر ، فنهض له ببعض المهمات السياسية . وقدر عمرُ بن عبد العزيز كفاءة عبد الأعلى العلمية والأدبية والسياسية ، فَقَدَّمهُ ، وأرسله إلى أليون ملك الروم ، وكَلَّفه أن يَعْقِدَ معه معاهدة لاسترجاع أسرى المسلمين ، فَلَبَّى أمْرَ عمر ، وحَقَّق هدفه .

وشق أبناء عبد الأعلى الثلاثة طريقهم فى الحياة معتمدين على مكانة أبيهم الاجتماعية والسياسية ، وما ورثوا عنه من ملكة الشعر والخطابة ، وما حَصَّلوا من ألوان العلم . وكان عبد الله يتمتع بمواهب أدبية وسياسية ، فَوَثَّق صلاته بالخلفاء الأمويين ، إذ تَقَرَّبَ من سليمان بن عبد الملك ، وأدَّب ابنه

---

(١٠٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة : ١٦٨ و .

(١٠٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٢ ، والبرهان والعرجان ص : ٨٣ .

(١٠٨) البرهان والعرجان ص : ٨٣ . الجاحظ فى كتبه الأدبية العامة غيره فى رسائله السياسية العباسية فهو فى كتبه الأدبية العامة إذا تَجَرَّدَ من هواه العباسى ، يُحَلِّلُ الأخبار ، ويَنْقُدُها ، ويستخلص الغايات والمقاصد منها ، ويُنْصِفُ الأمويين ومن عملوا لهم ، كما يتضح ذلك فى تَحْلِيلِهِ وتَعْلِيلِهِ لخبر حبس هشام بن عبد الملك لعبد الصمد بن عبد الأعلى . وهو فى رسائله السياسية العباسية ، يشايع العباسيين ، ويناضل عن حقهم فى الخلافة ، ويتحامل على خصومهم من العلويين والأمويين ، وقد يستغل العثمانية لرد حجج الشيعة فى الخلافة ، ومنازعتهم للعباسيين فيها ، وقد ينحى باللائمة عند الحاجة على الأمويين ويدارى العلويين ! فالقضية بالنسبة إليه هى تسويغ استيلاء العباسيين أولياء نِعْمته على الملك ، ومن هنا كان موقفه تجاه السلالة السابقة (الأمويين) والعلويين مُبْهَماً وخاضعاً لتأثير الظروف . (انظر الجاحظ فى البصرة ص : ٢٧٢) .

أيوب ، وحَظى عند يزيد بن عبد الملك ، وأخيه هشام إلى حين ، وكان من أهل السلطان والشفاعة فى أيامها . وكان أخوه عبد الصمد على مثاله عِلماً وأدباً وظرفاً ، فلاذ بالأمراء السفيانيين ، والخلفاء الأمويين ، إذا اصطفاه عتبة بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان لتربية أبنائه وتعليمهم ، وانتخبه يزيد بن عبد الملك لتأديب ابنه الوليد وتثقيفه ، فاختَصَنه واختَصَّ به .

وكما رَفَع العلم والأدب والسياسة الأسرة إلى قمة المجد ، فإن مكائد السياسة ودسائسها وضَعَتها فى الحضيض ، وحطمتها ودمرتها ، فقد ثار هشام على الإخوة الثلاثة ، لأن عبد الصمد ناصر الوليد عليه ، وشجعه على مقاومة رغبته فى تحويل ولاية العهد إلى ابنه مسلمة ، وزينَ له الهُزْءَ منه ، فقبض هشام على عبد الصمد وأخيه عبد الرحمن ، وشَهَّرَ بهما كما شهر بأخيهما عبد الله ، ثم قَذَفهما بالإلحاد لِيَنْفى أنه قَتلها امتعاضاً لنفسه وتَعصُّبًا لابنه ، ويُوقِعَ فى أخلاد العامة أنه أعدمها غَضَباً لله ودينه !

وبذلك كان هشام هو الذى صَمَّمَ على سحق هذه الأسرة ونَسْفها ، لأنها عارضت مطامحه السياسية ، وكانت سبباً من أسباب إخفاقه فى المبايعة لابنه مسلمة بالخلافة ، فأرجف بِفسْقِها ومروقها من الدين فى أول الأمر ثم مَزَّقها ، وطمسَ فَضْلها وعلمها وأدبها ، ومحا مآثرها ومحامدها . وعَثَرَ الرواة والإخباريون الذين تَوَزَّعتهم النَّزَعات السياسية العباسية والشيعية واليمنية والزبيرية المعادية لبنى أمية بالمساوى التى افتراها هشام على هذه الأسرة ، فنفخوا فيها ، واشتقوا منها وزادوا عليها ، إذ لم يكتفوا برمى عبد الصمد بالزندقة ، بل تجاوزوه إلى اتهامه باللواط ، ولم يقفوا عند قَرْفِ تلميذه الوليد بالزندقة ، بل تَعَدَّوه إلى وَصْمِهِ باللواط [١٠٩] ، حتى يكون امتداداً لأستاذه فى انحرافه الفكرى ، وشذوذه الجنسى !

ولا يذكر القدماء أن يزيد بن عبد الملك رسم منهجاً محدداً لعبد الصمد لكى يستضىء به فى تأديب ابنه الوليد ، وكأنما دفعته ثقته به وبقدرته إلى تحريره من القيود ، راضياً باجتهاده ، وما يؤديه إليه تَصَوُّره وتقديره . والغالب أن عبد الصمد انتفع فى تأديب الوليد بمعارفه الواسعة ، وخبراته التربوية السابقة ، ويفترض استناداً إلى وصايا الخلفاء والأمراء الأمويين لمؤدبى أولادهم [١١٠] أن

(١٠٩) عيون الأخبار ٢ : ٤٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١٢ و ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٩ .

(١١٠) انظر وصية عبد الملك بن مروان لإسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر معلم ولده فى عيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٧ ، ووصية هشام بن عبد الملك لسليمان بن سليم بن كيسان مؤدب ولده محمد فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٧٧ ، ووصية عقبة بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان فى عيون الأخبار ٢ : ١٦٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٤٣٦ ، ونور القبس ص : ١٨٧ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٢٣ .

عبد الصمد عَلَّم الوليد القراءة والكتابة[١١١] فإن إتقانهما كان صفة من صفات الرجل الكامل عند العرب[١١٢]. وكان تعليمها رُكْناً من أركان التربية منذ النصف الأول من القرن الأول، حرص مُؤَدِّبو أبناء الطبقات العليا والدنيا على أن يَتَدَرَّبَ تلاميذهم عليه، ويتمكنوا منه[١١٣]، ويُستَدَلُّ من وصايا العمال الأمويين فى النصف الثانى من القرن الأول أنهم كانوا ينصحون مؤدبى أولادهم أن يهتموا بتعليمهم الكتابة كما يهتمون بتعليمهم ألوان المعرفة الأخرى[١١٤]، ويستفاد من أخبار الوليد أنه كان شغوفاً بقراءة الكتب والمؤلفات المختلفة فى أيامه[١١٥].

وأخذ عبد الصمد الوليد بكتاب الله. فأقرأه بعض السور القصار، وآيات من السور الطوال. ولم يزل يلَقِّنها له شارحاً ومُفَسِّراً، ومبينا ما فيها من الأحكام الفقهية مما يتصل بالحلال والحرام، ومُبَسِّطاً ما فيها من ضروب البلاغة والإعجاز، ومُستَنْبِطاً ما فيها من المواعظ والأمثال، والوليد يُصْغى إليه. ويحفظ عنه. وفى شعر الوليد[١١٦]، وخطبه[١١٧]، ورسائله[١١٨] ما يقطع بأن عبد الصمد أقرأه كثيراً من سور القرآن وآياته، وأنه وعاها واستظهرها، فهو يستلهم فيها معانى القرآن وألفاظه، وخطبته الشعرية التى تلاها فى جامع دمشق بعد أن استخلف تثبت ذلك، فهو يكاد يصدر فى كل بيت منها عن معنى آية من القرآن، إذ يقول[١١٩]:

أَلحمدُ للهِ وَلِىِّ الحمدِ أَحْمَدُهُ فى يُسْرِنَا والجَهْدِ
وهو الذى فى الكَرْبِ أستعينُ وهو الذى ليسَ له قَرينُ
أشهدُ فى الدُّنيا وما سواها أنْ لاَ إلهَ غَيْرُهُ إلٰها
ما إنْ لهُ فِى خَلْقِه شَرِيكُ قد خَضَعَتْ لِمُلكِهِ المُلوكُ

---

(١١١) تاريخ دمشق، مخطوطة مكتبة الأزهر، المجلدة: ٢٩، الورقة: ١٩٧ ظ.

(١١٢) عيون الأخبار ٢: ١٦٨.

(١١٣) نشأة تدوين الأدب العربى، للدكتور يوسف العش، فصلة من كتاب المحاضرات العامة للجامعة السورية لعام ١٩٥١ ص: ٧، وأنظر مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص: ١٣٤، وما بعدها.

(١١٤) عيون الأخبار ٢: ١٦٦.

(١١٥) الطبقات الكبرى ٢: ٣٨٩.

(١١٦) أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثانى، ص: ٢١٤، ٣١٩، وتاريخ الطبرى ٧: ٢١٥، والأغانى ٧: ٨، والكامل فى التاريخ ٥: ٢٦٧، وتاريخ الإسلام ٥: ١٧٤.

(١١٧) الأغانى ٧: ٧، والكامل فى التاريخ ٥: ٢٩٠.

(١١٨) أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثانى ص: ٣١٣، وتاريخ الطبرى ٧: ٢١٢، والأغانى ٧: ١٢.

(١١٩) الأغانى ٧: ٥٧.

أشهدُ أنَّ الدينَ دينُ أحمدِ فليسَ من خَالَفهُ بمهْتَدى
وأنَّه رسولُ ربِّ العَرْشِ القادرِ الفَرْدِ الشديدِ البَطْشِ
أرْسَلَهُ فى خَلْقِهِ نَذيرَا وبالكتاب واعظاً بَشِيرَا
لِيُظْهِرَ اللهُ بذاكَ الدينا وقد جُعِلْنَا قَبْلُ مُشْركينا
مَنْ يُطِعِ الله فقد أصابا أوْ يَعْصِهِ أو الرَّسولَ خابا
ثم القُرانُ والهُدَى السَّبِيلُ قد بَقيا لمَّا مَضَى الرَّسُولُ
كأنَّهُ لِمَا بَقِى لَدَيْكُمُ حَيٌّ صحيحٌ لا يزالُ فيكمُ
إنكمْ منَ بعْدُ إنْ تَزِلُّوا عَنْ قَصْدِهِ أو نهْجِهِ تَضِلُّوا
لاَ تَتْرُكُنْ نُصْحى فإنى ناصحُ إنَّ الطريقَ فاعْلَمُنَّ واضِحُ
مَنْ يتَّقِ اللهَ يجِدْ غِبَّ التُّقَى يومَ الحسابِ صائراً إلى الهُدَى
إنَّ التُّقَى أفضلُ شىءٍ فى العَمَلْ أرَى جِمَاعَ البِرِّ فيهِ قَدْ دَخَلْ
خَافُوا الجَحِيمَ إخْوتى لَعَلكُمْ يومَ اللقاءِ تَعْرِفُوا ما سَرَّكُمْ
قَدْ قيلَ فى الأمْثالِ لو عَلِمْتُمُ فانْتَفِعُوا بذاكَ إنْ عَقَلْتُمُ
ما يَزْرَعُ الزَّارِعُ يوماً يَحْصُدُهْ وما يُقَدِّمْ مِنْ صَلاح يَحْمَدُهْ
فاسْتَغْفِروا رَبَّكمْ وتُوبُوا فالموتُ منكُمْ فاعْلموا قَرِيبُ

وليست هذه القصيدة هى الخطبة الشعرية الوحيدة التى نظمها الوليد وتلاها على الناس ، فقد روى له القدماء قصيدة أخرى عينية[١٢٠] خطب بها فى جامع دمشق ، حين زاد أعطيات الناس ، وحَسَّن أوضاعهم ، واستوحى فيها معانى القرآن ، مطلعها[١٢١] :

أَلاَ أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ أَبْلِغُوا سَلامِى سُكَّانَ البلادِ فَأَسْمِعُوا

وكان عبد الصمد من رُواة الحديث وحَمَلَتِه ، فعرض على الوليد طوائف منه ، استوعبها وتَمكَّن منها تَمكُّناً يُوَضِّحُهُ ما يقال من أنه كان يروى كثيراً من الأحاديث ، وأنه كان من المُحَدِّثين[١٢٢] .

وربما كان يُلْقِى عليه دروساً فى مغازى الرسول وأصحابه وبلائهم ، وفى أيام العرب وحروبهم

(١٢٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والأغانى ٧ : ٢١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤ .

(١٢١) الأغانى ٧ : ٢١ .

(١٢٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٧٩ و .

وأنسابهم وجماهير أحيائهم وأمثالهم وحكمهم(١٢٣).

وأغلب الظن أنه عَلَّمه شيئاً من مفردات اللغة ومشتقاتها ، ومن قواعد النحو وأحكامه ، مما كانت تَتَضمنه القصائد والخطب التى يُلْقِيها عليه ، ويَشْرَحُها له ، يدل على ذلك حذق الوليد لأصول اللغة ، وَبَصرهُ بها ، وتمييزه بينها ، واستخدامه لها استخداماً دقيقاً ، وإجادته لقواعد النحو ، وإتقانه لها فى شعره وخطبه إتقاناً شديداً .

وكان عبد الصمد شاعراً مُطَّلعاً على الشعر الجاهلى والإسلامى ، فانتخب له منه أرق القصائد ، وأروع النماذج فى كل موضوع من موضوعاته . وهى قصائد ونماذج كان ينشدها لهُ مُفَسِّراً ومُحَلِّلاً . وكانت موهبة الشعر كامنة فى نفس الوليد لم تتفتح بعد ، فكان يُنْصِتُ بِشَغَفٍ إلى ما يرويه أستاذه من الشعر ، سامعاً ومتأملاً ، وواعياً وحافظاً . ويستشف مما بقى من شعر الوليد أن عبد الصمد عَرَضَ عليه قصائد من غزل عمر بن أبى ربيعة ، وجميل بن معمر(١٢٤) ، وأن الوليد كان أميل إلى غزل عمر وذوقه(١٢٥) ، كما ظل يسأل الرواة عنه ، ويَسْتَعِيدُهم له(١٢٦) .

وأما فى الفخر والعتاب والوصف فيبدو مما بقى من شعر الوليد أن عبد الصمد اصْطَفَى له أجزل القصائد وأَمْتَنها ، إذَ يُغلب على فخره وعتابه ووصفه بداوة المعانى وَغَرابتها ، وفخامة التعابير وَوُعُورتها ، وأَعْرَابِيَّة الصور وخَشونتها(١٢٧) ، لأنه كان يَسْتَمِدُّ فيها مما اخْتَزنَ فى ذاكرته من لغة القصائد الجاهلية والإسلامية التقليدية وصورها الصحراوية التى ثَقِفَها عن عبد الصمد وأبى نخيلة التميمى(١٢٨) . ولأنه كان يَرْتَجِلها غير مُتَأنٍّ فيها ، ولا مُراجعٍ لها أو مُقومٍ ما اعْوَجَّ منها . ولكنه يتأثر فى عتابه ببعض معانى القرآن وأمثاله وألفاظه(١٢٩) .

ولم يُطْلِعْهُ عبد الصمد على شعرٍ كثيرٍ من وصف الخمر . ومن الجائز أن يكون وَقَفَه على بعضه مما كان يَعْرِضُ فى القصائد المطولة التى كان يُدَرِّسُها له ، فمر بها مروراً سريعاً . ويَحْسُنُ أن يُشَارَ إلى أَن

---

(١٢٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ٧ ، ١٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(١٢٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ .

(١٢٥) الأغانى ١ : ١١٤ .

(١٢٦) الأغانى ١ : ١٣٥ .

(١٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ١٣ .

(١٢٨) طبقات الشعراء ، لابن المعتز ص : ٦٣ .

(١٢٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٥ ، والأغانى ٧ : ٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٦ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٤ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٨٠ ظ .

وصف الخمر فى الشعر الجاهلى مُتَناثِر فى تضاعيف القصائد ، وأن منَ تَفَرَّغوا له واشْتهروا به من الشعراء الجاهليين قليلون ، كعدى بن زيد والأعشى ميمون بن قيس . وليس فى أخبار الوليد الصحيحة أو المنحولة أنّ عبد الصمد تَتَبَّع وصف الخمر واستقصاه وسرده عليه . ويَحْسُنُ أن يُشَارَ أيضاً إلى أن وصف الخمر فى القرن الأول ذَبُلَ وتَضَاءل . وجَفَّ وكاد يتلاشى ، فإن الشعراء الفحول وغير الفحول أعْرضوا عنه ، ولم يَعُودوا يَخُوضون فيه أو يستغلونه فى قصائدهم استغلالاً فَنيًّا نَظَرِيًّا جُزْئيًّا إلاَّ نادراً[١٣٠] ، لأنه يُنافى عقيدتهم ، ولأنهم كانوا يتحاشون أن يَتَحاماهُم الخلفاء وكبار موظفيهم إذا هم أَلَمُّوا به فى مدائحهم لهم . ولمَ يَشذَّ عن هذا النَّهْجِ منهم إلاَّ الأخطل التَّغْلَبِى . وأباحت له نَصْرانيته الشذوذ ، فأفاض فى مقدمات بعض قصائده وثناياها فى وصف مجالس لهوه . ولكنه لم يمدح بالقصائد التى وصف فيها الخمر خليفة أو والياً فكل ماله منها فى الافتخار بقبيلته أو فى مديح رجالٍ منها ، أو فى هجاء أفراد من قبائل أخرى[١٣١] . وحذا حذوه نفر من شعراء الكوفة المجان فى آخر العصر الأموى[١٣٢] .

وحمادٌ الراوية هو الذى رَوَى له شَذرات من وصف عدى بن زيد للخمر[١٣٣] ، بعد أن شَبَّ وجاوز مرحلة التلمذة المباشرة لعبد الصمد ، وهو الذى أنشده مقتطفات من أشعار الشعراء الكوفيين المجّان ، وهى أشعار جديدة حديثة العهد ، كانت حَبيسةً بالكوفة غيرُ متداولةٍ ولا متناقلةٍ بين الرواة فى دمشق وغيرها من الأمصار ، لأن أصحابَها نَبَغُوا وعُرِفُوا فى مطلع القرن الثانى[١٣٤] ، وكان عبد الصمد يجهلهم ، ولا يعلم بأشعارهم .

وكان عبد الصمد خطيباً بارعاً ، فروى للوليد وقرأ له قطعاً وأطرافاً من الخطب الجاهلية والإسلامية البديعة الرصينة ، واستكثر من عرضِها عليه ، وشرحها له ، مُبَيِّناً ما فيها من معانٍ أخاذة ، وألفاظٍ جَزْلَةٍ وأساليب ساحرة . فأعجب الوليد بها ، وعكف عليها دَرْساً وتَمثُّلاً حتى فَهِمها وحفظها ، يشهد بذلك ما يؤثر عنه من خُطَبٍ مُصَفَّاةٍ ناصعةٍ آسرةٍ ، كان يعمد فيها إلى ضرب من التقسيم الموسيقى والازدواج والسجع غير المتكلف ، كقوله من خطبة له معزيا عَمَّه هشام بن عبد الملك بوفاة أخيه مسلمة بن عبد الملك[١٣٥] : « يا أمير المؤمنين ، إن عُقْبَى منَ بَقِىَ لُحوقٌ من مَضَى ، وقد

(١٣٠) مقدمة القصيدة العربية فى العصر الأموى ص : ٢٧ .

(١٣١) شعر الأخطل ص : ٥٢ ، ٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٩١ .

(١٣٢) حياة الشعر فى الكوفة ، ليوسف خليفة ص : ٥٩٣ ، ٦٠٣ .

(١٣٣) الأغانى ٧ : ٤٥ .

(١٣٤) الأغانى ١٣ : ٢٧٦ ، ١٤ : ٣٢١ .

(١٣٥) الأغانى ٧ : ٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

أقفر بعدَ مَسْلَمَةَ الصَّيْدُ لمن يَرَى ، واختَلَّ الثَّغْرُ فَوَهَى . وعَلَى أَثَرِ من سَلَفَ يَمضى من خَلَفَ . وتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » .

ويشهد به أنه أصبح بعد أن استَوَتْ شخصيتُه ، واكتَملَتْ ثقافتُه ، واستقامَ أسلوبه من الخطباء الأمويين اللاّمعين ، فكان العُثْمَانيةُ فى أواخر القرن الثانى ، وأوائل القرن الثالث يَتَمَدَّحون بِقُدْرته الفذَّة على الخطابة ، وبراعته فيها ، مُطَاولين به العباسيين الذين كانوا يكاثرونهم بالخطباء من خلفائهم (١٣٦) . وكان القدماء ينوهون بخطبه ويقرون له بالتَّقَدُّم والسَّبْق فيها ، وَيَعْتَدُّونه من الخطباء البلغاء ، إذ قرنه ابن النديم فى فصاحته واسترساله فى خطبه بأعلام الخطباء ، كعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس وزياد بن أبى سفيان ، وقطرى بن الفجاءة ، وخالد القسرى ، وأبى جعفر المنصور ، والمأمون (١٣٧) .

ونسب الزبير بن بكار للوليد بن يزيد ، وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (١٣٨) مفاخَرةً جرت بينهما زمن هشام بن عبد الملك . ويظهر أن الوليد كان صديقاً لعبد الله (١٣٩) ، وأنهما كانا يلتقيان ويستفيضان فى الأحاديث مُتَمازِحَيْنِ وجَادَّيْنِ ومُتَذَاكِرَيْنِ أيام العربُ (١٤٠) ، مما قد يفيد أن لمفاخرتهما أصلاً . ويتوالى بَعْضُ تَمَجُّدِ الوَليد فيها على هذا النمط (١٤١) : « أنا ابن يزيد ، السيد العَميد ، من أناف فَفاقَ شَرَفُه ، وكَرُمَ أَصْلُهُ وطَرَفُه ، وسَهُلَ بابُه وكَفُّه ، واشْتَدَّ من الضَّيم أَنَفُه . هو الذى قُسِمَتْ مَنافِعُه ، وَعَمَّتْ صَنائِعُه ، وتَتَابَعَتْ وَقَائِعُه . كانت إليه تعمد الوُفود ، وبسياسته تُراضُ الجُنود ، وبأمرِه تعْهَدُ العُهُود ، وتَتَضاءلُ عندُ رؤيته الأُسود . ثم لعبد الملك . الذى كان إذا سابقَ الأكفاء سَبَق ، وإذا نَطَق صَدَق ، وَيَفْرِى كُلَّما خَلُق ، وتُحيى مَخائلُه إذا وَدَق (١٤٢) ، وَيرْتَقُ إذا فَتَق ، ولا يُفْتَقُ ما رَتَق . كان تهزِمُ الجيوشُ باسْمه ، وتَضِلُّ الحلومُ فى حِلْمِه ، ويعيشُ أهلُ الرَّأْى بِعلمِه ، ويَعْدلُ فى حُكْمِهِ وقَسْمِه . ويعرفُ فَضْلَ أبيه وأمِّهِ . هو

---

(١٣٦) كتاب فضل هاشم على عبد شمس ، برسائل الجاحظ ، للسندوبى ص : ٩٣ ، ٩٦ .

(١٣٧) الفهرست ص : ١٢٥ .

(١٣٨) ترجمته فى مقاتل الطالبيين ص : ١٦٢ ، والأغانى ١٢ : ٢٢٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٢ ، والملل والنحل ، للشهر ستانى ١ : ١٣٥ .

(١٣٩) عيون الأخبار ٢ : ١٢٠ .

(١٤٠) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ص : ٥٦٣ .

(١٤١) الأخبار الموفقيات ص : ٥٦٣ .

(١٤٢) ودق : أمطر .

الذى قارَعَ عن المُلْكِ ففلج[١٤٣] ، وأَدْمَجَ حبلَ الجماعةِ فانْدَمجَ ، وأَرتَج[١٤٤] بابَ الباطلِ فارتَتَج ، ولاقَ به المُلْكُ وابتَهَج » .

واستمر الوليد فى تَمَجُّده ببقية أسرته ، معتدا بمروان ، والحكم ، وأبى العاص ، وأميّة ، وعبد شمس ، ويزيد ، ومعاوية ، وصخر ، وحرب .

وما يتَّضح فى المفاخرة من إطنابٍ وإسهاب ، وتدقيق تاريخى ، وما يشيع فيها من صَنْعَةٍ لَفْظِيَّة ، وتنقيب عن غرائب الألفاظ وشواردها ، واجتلابٍ لها لِتَتمَّ بها الجُمَلُ وتَتَقابل فى موسيقاها وجَرْسِ أواخرها . مما لا يسود فى خُطَب الخطباء ، وكتب الكُتَّابِ لهذه الفترة[١٤٥] قد يُستَخْلَصُ منه أنَّ أَصْلَ المُفاخرةِ قد نُمِّىَ وَطُوِّل ، فإن سائرها ركيكٌ مُفَكَّكٌ ، ولغته فيها تَكَلُّف مُسْرِفٌ يَنُمُّ عن أَثَر الوضع ، والبحث عن الألفاظِ المُماتة لإكمال الجُمَلِ وإقامتها ، والمساواة بينها فى طولها وموسيقاها .

وربما كان رواة العثمانية وعلماؤهم بالبصرة هم الذين مَدُّوا أصلها حتى وَسِعَ تاريخ الأمويين الجاهلى والإسلامى ، إذ لم يُترَك سيد من ساداتهم ، ولا خليفة من خلفائهم السفيانيين والمروانيين إلاّ ذُكِرَ فى بَقِيّتها ، وأُشِيدَ بسيرته ، وأُحْصِيت شمائِلُهِ الحميدة ونُوِّه بمساعيه المجيدة . ومما يكشف عَن دور العثمانية فى إطالتها والتَّكَثُّر فيها أنَّها حُمِلَتْ عنهم ، فراويها الأول هو عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة ابن أبى سفيان ، أخذها عنه ابنه محمد[١٤٦] ، وهوَ بصْرىٌّ كان يُحَدِّث عن أبيه ، وكان صاحب أخبار[١٤٧] ، وأكثر أخباره عن بنى أمية وأيامهم[١٤٨] ، وظَهر واشتهر فى الفَترة التى اشتدت فيها المنازعةُ النَّظريةُ فى الخلافة ، ومن يجب أنْ يَتولاَّها بين أنصار بنى أمية من أهل السنة والجماعة ، وبين أبى العباس وأتباعهم ، فقد توفى سنة ثمان وعشرين ومائتين[١٤٩] .

وسَرَدَ عبد الله بن معاوية فى رَدِّه على الوليد تاريخ الهاشميين ، وعَدَّد أشراف العباسيين والعلويين . إذ فاخر بأبيه وجده ، وبانتسابه إلى الرسول ، وتَمَدَّح بحمزة بن عبد المطلب ، وعلى ابن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وابنه عبد الله ، وجعفر بن أبى طالب ، وأبى طالب ، وعبد المطلب وهاشم ، فى أسلوب أخف وأرشق من أسلوب الوليد أو ما أضيف إليه .

---

(١٤٣) فلج : ظفر وفاز .

(١٤٤) أرتج : أغلق .

(١٤٥) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، لشوقى ضيف ص : ٨٢ ، ١٠٨ .

(١٤٦) الأخبار الموفقيات ص : ٥٦٣ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤ .

(١٤٧) الفهرست ص : ١٢١ ، ومعجم الشعراء ص : ٣٥٦ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٩٤ .

(١٤٨) المعارف ص : ٥٣٨ .

(١٤٩) المعارف ص : ٥٣٨ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٦ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٤٠٠ .

وقد يكون الزبير بن بكار تَزَيَّد فى القسم الأخير من المفاخرة لاتصاله بأصدقائه العباسيين ، فهو يحتوى على جملة من فضائلهم ومناقبهم التى جمعها كتابهم ، فألحق به شيئاً اقتبسه من رسالة الجاحظ «فضل هاشم على عبد شمس» فالأخبار التى ترد فى الرسالة وفى القسم الأخير من المفاخرة متشابهة ، والأسلوب فيهما متقارب ، وكان الزبير معاصراً للجاحظ ، وقدم بغداد ، وعرف بها رسالة الجاحظ السابقة .

وإن لم يكن الزبير هو الذى تكثَّر فى القسم الثانى من المفاخرة ، فإن تلميذه أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقى ، الذى روى عنه الأخبار الموفقيات[١٥٠] هو الذى تَكثَّر فيه منافقةً للعباسيين ، فهو الذى حمل المفاخرة عن الزبير[١٥١] ، وكان رحل إلى بغداد ونزل بها ، ولاذ بالخليفة المعتز ، وأدَّب ابنه عبد الله[١٥٢] .

تلك هى المعارف والمهارات التى اكتسبها الوليد من عبد الصمد بن عبد الأعلى ، مما كان خبيراً به ، ومُتَضَلِّعاً فيه . فقد دَرَّبه على القراءة والكتابة ، وَعلَّمه بعض القرآن والأحاديث وأيام العرب وأنسابهم ، وقواعد اللغة والنحو ، والشعر والخطب ، فوعى الوليد أكثر ما قَدَّمه إليه أستاذه من ألوان الثقافة وعياً دقيقاً ، ثم انطلق منه لتوسيع آفاقه ، وتعميق معلوماته ، وبناء شخصيته المستقلة ، فنجح فى ذلك نجاحاً يُوَثِّقه الصحيح من أشعاره وأخباره ، ويؤكِّده أنه كان امتداداً لأستاذه فى معارفه ومواهبه ، فقد غدا مثله مُحَدِّثاً وشاعراً وخَطِيباً .

٢ – أبُو نخيلة التَّميمى مُؤَدِّبه الثانى

لم يكن عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى مُعَلِّم الوليد الوحيد ، فقد شركه أبُو نَخيلة التميمى البصرى[١٥٣] فى تعليمه . وهو شاعر راجز من أفصح الناس وأشعرهم ، كان مطبوعاً مقتدراً كثير البدائع والمعانى غزيراً جدا ، وكان الغالب عليه الرجز ، ومع ذلك لا يُقَصِّر فى القصيد[١٥٤] .

---

(١٥٠) تاريخ بغداد ٤ : ١٧١ .

(١٥١) الأخبار الموفقيات ص : ٥٦٣ .

(١٥٢) تاريخ بغداد ٤ : ١٧٢ .

(١٥٣) ترجمته فى الشعر والشعراء ص : ٦٠٢ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٦٢ ، والاشتقاق ص : ٢٥٢ ، والأغانى ٢٠ : ٣٩٠ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٢٩٦ ، وسمط اللآلى ص : ١٣٥ ، وأمالى القالى ١ : ٢٩ ، وحماسة ابن الشجرى ١ : ٤٠٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٧٨ وتاريخ الطبرى ٨ : ٢٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٧٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣١٨ .

(١٥٤) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ ، والأغانى ٢٠ : ٣٩٠ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٢٩٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣١٨ .

وكان سبب قدومه الشام أنه كان عاقًّا بأبيه ، فَنَفاه عنه ، وَتَبرأ منه ، فخرج يطلب الرزق لنفسه ، فَتأَدَّبَ بالبادية حتى شَعَر ، وقال رجزاً كثيراً ، وقصيداً صالحاً ، وشُهِرَ . وسار شعره فى البَدْو والحَضَر . ورواه الناس[١٥٥] . ثم وفد على مسلمة بن عبد الملك بدمشق . فرفع منه ، وأعطاه ، وشَفَعَ له ، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك ، فمدحه ، ولم يزل به حتى أغناه[١٥٦] . واصطنعه مسلمة ، وأحسن إليه ، وأوْصَلَه إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستَّاحهم له فَأَغْنَوْه[١٥٧] .

ومعنى ذلك أن أبا نخيلة كان بدمشق منذ أيام الوليد بن عبد الملك ، وأقام بها فى خلافة يزيد ابن عبد الملك ، وهشام[١٥٨] ، والوليد بن يزيد[١٥٩] . ويظهر أنه عَاذَ بالوليد فى نهاية العقد الثانى من عمره ، بعد أن بُوِيعَ له بولاية العهد ، وترعرع وأَيْفَع ، وأصبحت له مكانة سياسية كبيرة . إذ يذكر ابن المعتز أنه هو الذى عَلَّم الوليد الشعر[١٦٠] . فكأَنَّ دَوْرَه فى تأديب الوليد جاء بعد أن لَقَّنَه عبد الصمد حظا وافراً من العلوم ، وأخذت شخصيته الثقافية تستقل وتكتمل ، وملكاته الفنية تَتَفَتَّح وتَزْدَهِر ، وانحصر فى اكتشافه لموهبته الشعرية ، فَتَعهَّدها ، وَعَرَّفَه بأوزان الشعر وقوافيه ، ومَرَّنَه على إجازة الأشطار ، ومعارضة الأبيات ، ونظم بعض المعانى ، ولم يزل به يُدَرِّبه حتى حَلَّ عُقْدَةَ لسانه ، وأَنطَقَه بالشعر .

ولعل رعاية أبى نخيلة الراجز الأعرابى ، والشاعر البدوى لملكة الوليد الشعرية ، وما كان يلقيه عليه ، ويُحَفِّظه له ، ويُمَرِّنه به من النصوص المتينة ، مع تثقيف عبد الصمد له بأجود الشعر وأرصنه . وهى التى تُفَسِّر ما يسود فى إنتاجه المبكر والمتأخر الذى نظمه فى الفخر والعتاب والوصف تأثره بالنَّمط الفنى القديم ، إذ يَتَعلَّق فيه بالمعانى الجاهلية ، والقوالب البدوية ، والأخيلة الصحراوية ، ولايكاد يجاوزها وينفك منها إلاّ قليلاً .

وكان الوليد يحب أبا نخيلة حبا شديداً[١٦١] ، فأحاط أبو نخيلة به خلال ولايته للعهد ، وحافظ على صلته به رغم تَرَدُّده على هشام ومدحه له ، ولما تولى الوليد الخلافة قَرَّبه وخَصَّه بجوائزه ، اعترافاً بفضله الأدبى ، وتقديراً لعنايته بموهبته ، إذ يروى ابن المعتز أن أبا نخيلة خرج من عند الوليد راكباً ،

---

(١٥٥) الأغانى ٢٠ : ٣٩٢ .
(١٥٦) الأغانى ٢٠ : ٣٩٢ .
(١٥٧) الأغانى ٢٠ : ٣٩٠ .
(١٥٨) الأغانى ٢٠ : ٣٩٣ ، ٣٩٤ ،
(١٥٩) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ .
(١٦٠) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ .
(١٦١) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ .

وبين يديه رجالة قد تَقَدَّموه ، وقد حُمِلَ معه مال كثير ، كان الوليد قد وَصَلَه به ، وهو يُفَرِّقُ يميناً وشمالاً ويَتَصَدَّق ، حتى أتى منزله ، وقد فَرَّق منه شيئاً كثيراً ، ثم دفع إلى الرجالة الذين كانوا بين يديه مائة دينار[١٦٢] .

٣ – مؤدبٌ ثالثٌ مجهول

يذكر أبو الفرج أن يزيد بن أبى مساحق السلمى كان من مؤدبى الوليد بن يزيد . إذ يقول : « أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى عقيل بن عمرو قال : قال يزيد بن أبى مساحق السلمى مؤدب الوليد شعراً . وبعث به إلى النوار . جارية الوليد . فَغَنَّتْه به . وهو :

مَضَى الخُلَفَاءُ بالأَمْرِ الحميدِ ... وأَصْبَحَتِ المَذَمَّةُ للوليدِ
تَشَاغَلَ عنْ رَعِيَّتِه بِلَهْوٍ ... وخَالَفَ فِعْلَ ذى الرَّأْىِ الرَّشيدِ

فكتب إليه الوليد :

ليتَ حَظِّى اليَوْمَ مِنْ كُـ ... ـلِّ مَعاشٍ لى وَزَادِ
قَـهْوَةٌ أَبْذُلُ فيها ... طارِفى ثُمَّ تِلادِى
فَيَظَلُّ القَلْبُ منها ... هائماً فى كُلِّ وادى
إنَّ فى ذاكَ صَلاَحى ... وَفلاَحى ورَشادى »[١٦٣]

ولا تُعينُ المصادرُ المتاحة المتنوعة على مَعْرِفة يزيد بن أبى مساحق السلمى . وتَبَيُّنِ حياته وشخصيته ومكانته العلمية . ويبدو أنه مُؤدبٌ مخترعٌ صنعه الرواة المتأخرون الوضاعون لغمْزِ الوليد بن يزيد ولَمْزِهِ . وتَرْسيخ صورته المُنحَلَّة . وتَوْسيعِ ما يُعْزَى إليه من الإيغال فى اللهو والبطالة . وإهمال شئون الدولة .

والخبر الذى رواه أبو الفرج ضعيفٌ . وفى سَنَدِهِ وَنَصِّهِ ثغراتٌ ومطاعنُ تشير إلى افتعاله . فليس للخبر أصلٌ قبلَ أبى الفرج . ولم يحْمِله أحدٌ من المؤلفين المعاصرين له واللاحقين به عن طريق آخر . وابن شاكر الكتبى هو الوحيد الذى أخذه عن أبى الفرج[١٦٤] . ثم إن شعر الوليد الذى تَضَمَّنَهُ الخبر لم

---

(١٦٢) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ .

(١٦٣) الأغانى ٧ : ٦٩ .

(١٦٤) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ : حـ ٥ ، الورقة : ٢٤ ظ .

يرد فى المصادر المتقدمة رَدًّا على الشعر الذى اتهمه فيه مؤدبه بالإغراق فى المجانة ، والاشتغال بها عن أمور الخلافة ، بل وَرَد فيها مُفْرَدًا غيرَ مَسْبُوقٍ بشعر ولا خَبَر[١٦٥] !

وفى سلسلة رواة الخبر التى ساقها أبو الفرج فَجواتٌ تؤكد انبثاث وشائج التلمذة بين رجالها . ففى كتب التاريخ والطبقات عشرة يسمون أحمد بن عبد العزيز[١٦٦] ، لا يُلَقَّبُ أحدهم بالجوهرى ، أربعةٌ منهم من علماء القرن الخامس ، وصلات التلمذة بينهم وبين عمر بن شبة المتوفى سنة اثنتين وستين ومائتين[١٦٧] مقطوعة ، إذ بينهم وبينه أجيال عديدة من العلماء ، وستةٌ منهم من علماء القرن الرابع ، وروابط التلمذة بينهم وبين عمر بن شبة غير قائمة ، إذ بينهم وبينه جيل من العلماء على الأقل ، وليس فى ترجمة أحدهم أنه التقى بعمر بن شبة ، أو أخذ عن تلاميذه .

وعقيل بن عمرو الراوى الأول للخبر من الرواة النكرات ، وليس فى ترجمة عمر بن شبة أنه كان من شيوخه .

فواضع الخبر ضعيفٌ ، لأنه أَلَّف سلسلة رواته تأليفاً غير محكمٍ ، لم يراع فيه قواعد الأَخْذِ والتَّحَمُّلِ البسيطة ، وما تستلزمه من الاتصال المباشر بين الشيوخ والتلاميذ ، ولكنه أقحم فى سلسلة الرواة عمر بن شبة المعروف بميله إلى الأمويين ، وتَصْنِيفِهِ بَعْضَ الكتب فى تاريخهم[١٦٨] ، ونَقْلِهِ كثيراً من أخبارهم ، ومن أخبار الوليد بن يزيد خاصةً ، لِيُخْفِيَ به تَلْفِيقَه للخبر ، ويُضْفِيَ عليه هالةً من الصِّدْقِ ، ويَنْفِيَ عنه الشك !

وأسلوب الشعر الذى يقدح فى الوليد سهل ، قريب من أساليب العباسيين المُوَلَّدةِ اللَّيِّنَةِ ، بعيدٌ عن أساليب اللغويين والنحويين المتقعرة الوعرة ، مُخَالِفٌ لأساليب الشعراء المعلمين فى القرن الأول والثانى ، مثل الطرماح بن حكيم[١٦٩] ، والكميت بن زيد[١٧٠] ، وذى الرمة[١٧١] ، وعبد الله بن عبد الأعلى[١٧٢] ، وما تَتَمَيَّزُ به من بداوةِ المَعْنَى ، وغَرابةِ اللَّفْظِ والتَّركيبِ .

---

(١٦٥) العقد الفريد ٤ : ٤٥٩ .

(١٦٦) تاريخ بغداد ٤ : ٢٥٦ ، وميزان الاعتدال ١ : ١١٧ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٤ .

(١٦٧) تاريخ بغداد ١١ : ٢٠٨ ، ومعجم الأدباء ٦ : ٤٨ ، ونور القبس ص : ٢٣١ ، وبغية الوعاة ص : ٢٦١ .

(١٦٨) الفهرست ص : ١١٢ .

(١٦٩) انظر مقدمة الدكتور عزت حسن لديوان الطرماح بن حكيم ص : ٣٧ .

(١٧٠) الأغانى ١٧ : ١ ، ٢ ، والموشح ص : ٣٠٢ ، والكميت بن زيد حياته وشعره ص : ٢٧٦ .

(١٧١) ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ص : ٣٦٤ ، ومقدمة الدكتور عبد القدوس صالح لديوان ذى الرمة ١ : ٧٦ .

(١٧٢) البرصان والعرجان ص : ٨٣ .

٤ – اتجاهات ثقافته

قامت ثقافة الوليد فى مرحلة التَّلْقِينِ والتَّكْوِينِ على ثلاث قواعد أساسية : الأولى دينية ، والثانية تاريخية ، والثالثة أدبية . وهى قواعد رسخت فى مرحلة النُّضْجِ والاستقلال ، حين أخذ يبحث عن المعلومات بنفسه ، ويسعى لِتَنْمِيةِ ثقافته وتعميقها ، وظلت اهتماماته الثقافية تنبثق منها فى أيام ولايته للعهد ، وفى أثناء خلافته[١٧٣] .

أما القاعدة الدينية فَتَتَمَثَّلُ فى محافظته على توسيع معرفته بالقرآن وعلومه ، وقراءاته ، وبالفقه وأحكامه ، وبالحديث ورواته ، ليتنفع بها فى حياته الذاتية والرسمية ، ويسترشد بها فيما يعرض له من مشكلات . ففى أخباره أنه أرسل إلى البصرة يسأل عَمَّن بها من القُرَّاء ، فقدم عليه منهم الهيثم ، وعبد الله بن عمر ، فاستقرأ الهيثم ، فقرأ له[١٧٤] وكتب يستدعى الفقهاء من المدينة ، فوفد عليه منهم جماعة ، فيهم عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، فاسْتَفْتَاهم فى بعض المسائل منها الطلاق قبل النكاح[١٧٥] . وكان يُقَدِّرُ المُحَدِّثين ، ويُجالِسُهم ، ويأخذ عنهم ، فَعُدَّ من رواة الحديث[١٧٦] .

وأما القاعدة التاريخية فتتضح فى عنايته عنايةً بالغةً بجمع التراث العربى ، ليستفيد منه فى سياسته الداخلية الإدارية والمالية . وقد ندب لهذه الغاية عوانة بن الحكم الكلبى الكوفى المتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة[١٧٧] . وهو من العلماء بالأخبار والفتوح والشعر ، وكان من المقربين إلى بنى أمية ، ومن المشتغلين بتاريخهم ، إذ وضع كتاباً فى « سيرة معاوية وبنى أمية »[١٧٨] . فاستعان عوانة بما كان عند معاصريه من علماء الكوفة من مؤلفات وروايات ، واعتمد أكثر ما اعتمد على نسخة من ديوان العرب كان عند حَمَّادٍ وجنادٍ[١٧٩] الكوفيين ، واستخرج منها ما كَلَّفهُ الوليد به ، وقَدَّمه إليه مُنَظَّماً

---

(١٧٣) عيون الأخبار ٢ : ١٢٠ .

(١٧٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٢٣ .

(١٧٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٩ ، ومعجم البلدان ٣ : ٨٥٩ .

(١٧٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ و .

(١٧٧) ترجمته فى الفهرست ص : ٩١ ، وإنباه الرواه ٢ : ٣٦١ ، ومعجم الأدباء ٦ : ٩٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٣٨٦ ، ونور القبس ص : ٢٦٣ .

(١٧٨) الفهرست ص : ٩١ .

(١٧٩) ترجمة جناد فى معجم الأدباء ٢ : ٤٢٥ ، ونور القبس ص : ٢٧٢ .

مُنَسَّقاً فى كتابٍ شاملٍ . إذ يروى أبو العباس ثَعْلَبٍ أن عوانة جَمَع ديوانَ العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها للوليد بن يزيد بن عبد الملك . وردَّ الديوان إلى حماد وجناد »[١٨٠] .

ويظهر أن الوليد كان مهتماً اهتماما شديداً بكل ما أُلِّف من الكتب فى هذه العلوم وغيرها . إذ كانت له مكتبة كبرةٌ غَنِيَّةٌ بالمصادر والمُصَنَّفات المختلفة تفوق فى سَعَتِها وكثرة ما فيها من المؤلفات مكتباتِ العلماء المتخصصين فى أيامه . إذ يقول ابن سعد : « أُخْبِرْتُ عن عبد الرزاق . قال : سمعتُ معمراً . قال : كُنَّا نرى أنّا قد أكثَرْنا عن الزُّهرى حتى قُتِلَ الوليد بن يزيد . فإذا الدفاتر قد حُمِلَتْ على الدَّواب من خزائنه »[١٨١] .

وتَنْشَعِبُ القاعدة الأدبية لثقافته شُعْبَتين : الأولى عامة . والثانية خاصة . أما الشُّعْبَةُ العامة فَتَتَبَدَّى فى كَلَفِهِ بالشعر ورغبته فى سماع بعض قصائده السائرة وفى معرفة بعض أشعار القبائل النادرة . مما تُبْرِزُه الأخبار التى تتحدث عن استقدامه لحمادٍ الراوية من الكوفة . وتُحَدِّدُ بعض ما كان يسأله عنه فى المجالس العديدة التى التقى به فيها . فهى تشير إلى أنه اسْتَنْشَدَهُ قصيدة أبى ذؤيب الهذلى العينية فى رثاء أبنائه . فأنشدها له حتى أتى على آخرها[١٨٢] . وتشير إلى أنه سأله عن أشعار بَلِيٍّ . فأنْشَدَهُ منها ما اسْتَحْسَنَه[١٨٣] . وفى أخبار الوليد أنه كان مَعْنِيًّا ببعض ما مُدِحَ به بنو أمية من الشعر الرائع . فكان لا يَمَلُّ سماعه . وبلغ من تَعَلُّقه به أنه كان يطلب إلى المغنين أن يُغَنُّوه فيه[١٨٤] .

وتَتَبَدَّى فى مراجعته لرواة الشعر . واستفساره عن منازلهم . وأسباب اسْتِحْقَاقِهم لأَلْقابهم . ومناقشته إياهم . واختباره لهم . مما يدل عليه قوله لحمادٍ الراوية : « بم اسْتَحْقَقْتَ هذا اللَّقبَ فَقِيلَ لك الراوية ؟ فقال : بأنى أَرْوى لكلِ شاعرٍ تَعْرِفُه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به . ثم أَرْوى لأكثر منهم مِمَّن تعرفُ أنك لم تعرفه ولم تسمع به . ثم لا أُنْشِدُ شعراً قديماً ولا مُحْدَثاً إلاَّ مَيَّزْتُ القديمَ منه من المُحْدَث . فقال : إنَّ هذا لَعِلْمٌ وأبيك كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً . ولكننى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المُقَطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قال : سأمتحنك فى هذا . وأمره بالإنشاد . فأنشد الوليد حتى ضَجِرَ . ثم وكَلَ به من اسْتَحْلَفَهُ أن يَصْدُقَهُ عنه ويَسْتَوْفِى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين .

---

(١٨٠) الفهرست ص : ٩١ .

(١٨١) الطبقات الكبرى ٢ : ٣٨٩ .

(١٨٢) الأغانى ٢ : ٢١٠ ، ٦ : ٧٨ ، ٧ : ٤٥ .

(١٨٣) الأغانى ٦ : ٩٤ .

(١٨٤) الأغانى ٢ : ٢١٠ ، ٦ : ٧٩ .

وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم »[١٨٥] .

ويتبدَّى أيضاً فى عَقْدِ المجالسَ الأدبية التى كان يحضرها الشعراء الوافدون من البلاد ، ويشهدها الرواة النقاد ، فكان الشعراء يمدحونه ، والنقاد يُبَصِّرونه بمواطن التقليد والاتباع ، وبمواطن التجديد والإبداع . وفى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة : « دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفى والحسين بن مطير الأسدى فى جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد ، وهو فى فُرُشٍ قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعرٌ شعراً وقَفَ الوليد بن يزيد على بيتٍ بيتٍ من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية »[١٨٦] .

وأما الشعبة الخاصة فَيُصَوِّرها إقبالُه على الشعر الغزلى الذى يَنْصَبُّ على معانى اللهفة واللوعة بالمحبوبة والوفاء لها ، مما يُبَيِّنُهُ سَمَاعُهُ لشعر الشعراء الغزلين الكبار من الأمويين كعمر بن أبى ربيعة[١٨٧] ، ومن مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية كبشار بن برد[١٨٨] . واستنشادُه ما طار واشتهر من شعر الشعراء الأمويين التقليديين فى الغزل كسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت[١٨٩] ، وإسماعيل بن يسار النسائى[١٩٠] ، وجرير بن عطية[١٩١] . ويَرْتَبِطُ طلَبُهُ لهذا النوع من الشعر الغزلى العفيف الحزين بحالته النفسية ، وما كان يَمَازِجُها من الإحساس بالعذاب فى حبه لسلمى بنت سعيد بن خالد ، قبل أن يَبْنى بها ، وبعد أن تزوجها واغتالتها المنية وحرمته منها .

ويُظْهِرُها أيضاً غَرَامُهُ بالشعر الخَمْرِىِّ والهَزْلِىِّ الحِيرِىِّ والكوفى . وتَتَضارَبُ رواياتُ القدماء فى تفسير اتصاله بهذا الشعر ، أما الهيثم بن عدى الطائى فيزعم أن الوليد كان يحب دخول الكوفة ، فخرج كالمُتَبَدِّى ، فأتى الكوفة فنادم شراعة بن الزَّنْدَبُود ، ومطيع بن إياس ، وحماداً الراوية ، وحماد عجرد ، وبعض آل أبى مُعَيْط »[١٩٢] . وهى رواية لم يَقْبَلْها البلاذرى ، إذ عَقَّب عليها بقوله :

---

(١٨٥) الأغانى ٦ : ٧١ ، ٩٣ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٦ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٥٢ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

(١٨٦) الأغانى ٦ : ٧١ ، ١٦ : ١٧ .

(١٨٧) الأغانى ١ : ١٣٥ ، ٢ : ٢١٠ ، ٦ : ٧٩ .

(١٨٨) الأغانى ٣ : ١٨٨ .

(١٨٩) الأغانى ٨ : ٢٦٩ .

(١٩٠) الأغانى ٤ : ٤١٦ .

(١٩١) الأغانى ٢ : ٢١١ ، ٦ : ٧٩ .

(١٩٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ .

« ويقال : إنه لم يخرج إلى الكوفة ، ولكنه أشخص ظرفاءها إليه ، وكان فيهم شراعة بن الزندبود »(١٩٣).

ويروى أبو الفرج عن عيسى بن الحسين الوراق أن الوليد أمر شراعة بن الزندبود أن يُسَمِّى له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة ، فسمَّى له مطيع بن إياس ، وحماد عجرد ، والمطيعى المغنى ، فكتب فى إشخاصهم إليه ، فأُشْخِصُوا ، فلم يزالوا من ندمائه إلى أن قُتِلَ ، ثم عادوا إلى أوطانهم »(١٩٤). ولا تُوَضِّح هذه الرواية التَّاريخ الذى قدم فيه شراعة إلى دمشق ، أو الطريقة التى جاء بها إليها ، أو سَبَبَ سبقه لرفاقه من شعراء الكوفة فى الوفود عليها .

ويروى أبو الفرج عن الحسن بن على أن حَكَماً الوادى المغنى ذكر أنه غَنَّى الوليد بن يزيد ذات ليلة **وهو غلامٌ حديثُ السنِّ** ، فقال :

إكْلِيلُها ألوانُ وَوَجْهُها فَتَّانُ

فطرب حتى زَحفَ عن مجلسه إلى ، وقال : أَعِدْ فَدَيْتُكَ بحياتى ، فأَعَدْتُه حتى صَحِلَ صوتى وَبُحَّ ، فقال لى : ويحك ، من يقول هذا الشعر ؟ فقلت : **عبدٌ لك يا أميرَ المؤمنين** أرضاء لخدمتك . فقال : ومن هو فَدَيْتُك ؟ فقلت : مطيع بن إياس الكنانى ، فقال : وأين مَحَلُّه ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يُحْمَلَ إليه على البريد ، فحمل إليه ، فما أشعر يوماً إلاَّ برسوله قد جاءنى ، فدخلت إليه ومطيع بن إياس واقفٌ بين يديه »(١٩٥).

وفى نَصِّ الرواية تناقُضٌ ظاهر يكشف عن تداعيها ، وأن حاملها بل مؤَلِّفُها وهو الحسن بن على مولى عبد الصمد بن على العباسى لم يُحْسِنْ تَلْفِيقها ، فهو يَصِفُ الوليد بأنه كان غلاماً حَدِيثَ السنِّ حين غَنَّاه حَكَمٌ بشعر مطيع ، ثم لا يَلْبَثُ أن يقول : إنه كان خليفةً ، وإنه كان يُلَقَّب بأمير المؤمنين ! ويَنْقُضُها خبرٌ آخر أورده أبو الفرج عن محمد بن خلف المرزبان يقول فيه إن مطيعاً مدح الغمر بن يزيد بن عبد الملك بقصيدةٍ ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سَنِيَّةً ، وحرَّكته ، وَرَفَعَتْ من ذكره ، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه(١٩٦).

والغالب أن حمّاداً الراوية هو الذى نَقَل للوليد نُتَفاً من الشعر الخمرى الحيرى الجاهلى ، ومن الشعر الخمرى والهزلى الكوفى الإسلامى ، وقَصَّ عليه أطرافاً من أخبار الشعراء الكوفيين الخلعاء الظرفاء .

---

(١٩٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ .

(١٩٤) الأغانى ١٤ : ٣٣٥ .

(١٩٥) الأغانى ١٣ : ٢٧٧ .

(١٩٦) الأغانى ١٣ : ٢٩٧ .

فقد كان حماد بدمشق فى عهد يزيد بن عبد الملك ، وكان أثيراً عنده ، ثم رجع إلى دمشق فى أيام هشام بن عبد الملك[١٩٧] . وكان حمادٌ صديقاً لحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وكانوا يتنادمون بالكوفة على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا يتواصلون كأنهم نفس واحدة[١٩٨] . وكان رفيقاً لمطيع بن إياس ، وعمار ذى كناز ، وكانوا يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون[١٩٩] . والمظنون أن حماداً عرف الوليد فى خلافة أبيه يزيد ، وفى أثناء ولايته للعهد ، عندما قدم إلى دمشق فى زمن هشام . ولكن المحقق أن الوليد استدعاه فى خلافته . وفى أخبار الوليد أنه سأله فى مجلسٍ من مجالسه عن وصف عدى بن زيد للخمر فروى له منه شيئاً[٢٠٠] ، وأنشده فى مجلسٍ ثان بعض شعر عمار ذى كناز الهمدانى فى المجون واللهو[٢٠١] ، مما يُؤيِّد أن حماداً الراوية كان أول من عرض على الوليد بعض الشعر الخمرى الحيرى الجاهلى . ويفترض أيضاً أنه هو الذى دَلَّه على القاسم بن الطويل العبادى الكوفى الذى كان يحفظ شعر عدى بن زيد العبادى ، فاستقدمه الوليد ، واستمع منه إلى ما غاب من شعر عدى عن حماد وكان القاسم شاعراً ظريفاً . فَضَمَّه الوليد إليه ، وجعله من خاصته وندمائه[٢٠٢] . ولما كان حمادٌ صديقاً للشعراء الكوفيين الخلعاء الظرفاء ، وكان روى للوليد بعض أشعارهم وأخبارهم فالراجح أنه هو الذى سَمَّاهم له ، فاستوفدهم من الكوفة ، فتتابع إليه منهم مطيع بن إياس[٢٠٣] ، وحماد عجرد[٢٠٤] ، وشراعة بن الزندبود[٢٠٥] ، والمطيعى المغنى[٢٠٦] . أما عمار ذو كناز مع شهوة الناس لشعره ، واستطابتهم له ، فلم يرحل إليه ، لأنه لم يَنْتَجِعْ أحداً ، ولا كان يبرح الكوفة لعشاء بصره ، وضعف نظره[٢٠٧] .

---

(١٩٧) الأغانى ٦ : ٧٤ ، ونزهة الألبا ص : ٣٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٧ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٧ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

(١٩٨) الحيوان ٤ : ٤٤٧ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٦٩ ، والأغانى ٦ : ٧٤ ، ١٤ : ٣٢٢ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ١٣١ .

(١٩٩) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢٠٠) الأغانى ٧ : ٤٥ .

(٢٠١) الأغانى ٦ : ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢٠٢) الأغانى ٧ : ٦٥ ، وتاريخ الأدب العربى ، لكارل بروكلمان ١ : ١٢٥ .

(٢٠٣) الأغانى ١٣ : ٢٧٤ ، وتاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٦ ، وخزانة الأدب ٤ : ٢٨٦ .

(٢٠٤) الأغانى ١٤ : ٣٢١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٤ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢١٠ .

(٢٠٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٧ .

(٢٠٦) الأغانى ١٤ : ٣٣٥ .

(٢٠٧) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

وكان الوليد ظَرِيفاً مُحِبًّا لِلْمَرح والمُلَح[٢٠٨]، فأوى إليه هؤلاء الظرفاء من الرواة والشعراء والمغنين الكوفيين، وأنس بهم، وأنسوا به، إذ جمع الظَّرْفُ بينهم وألَّف بين قلوبهم، ولم يزل أكثرهم يحُفُّون به، ويحضرون مجالسه ويسامرونه راوين له القصائد والمقطوعات الخمرية والهزلية، أو مُنْشِئين لها، أو مُغَنِّين فيها، وهو مسرورٌ بهم، حتى قتل ففارقوا الشام إلى الكوفة[٢٠٩].

وكان لهم دورٌ قويٌّ فى وصله بالشعر الخمرى والهزلى الذى كان يَتَعَشَّقُهُ لانسجامه مع طبيعته ومزاجه، كما كان يستكثر من الاستماع إليه لِيُرَوِّح به عن نفسه المُرْهَقة، ويَدْفع عنها الهموم التى أطبقت عليها، وكادت تُضْنِيها وتُذِيبها حسراتٍ لطول ما عانى من ضغط هشام وتَسَلُّطه، ولفرط ما تَأَذَّى من سعيه لعزله من ولاية العهد. وكان لهم تأثيرٌ واسعٌ فى أسلوب شعره الخمرى الذى نظمه فى السنة الأخيرة من حياته، وما أحدث فيه من تجديداتٍ وإبداعاتٍ لفظية وموسيقية وتصويرية.

ولم تَسْلَم الأخبار التى تكشف عن ولع الوليد بالشعر الخمرى والهزلى من التشويه والإفساد والتوجيه، فقد خضعت لها كما خضعت لها بقية أخباره، إذ عَدَا عليها الرواة من أصحاب النزعات اليمنية والشيعية والعباسية، وعبثوا بها عبثاً واضحاً. وتَتَبُّع لبعض أخبار وَلَع الوليد بهذا النوع من الشعر يُبَيِّن عَبَثَهم بها. وهو عَبَثٌ يَتَمَثَّلُ فى وَجْهٍ من وجوهه فى الخلط بين أخباره وأخبار هشام اللاهية، وهذان خبران متميزان: أحدهما يتعلق باستقدام هشام لحماد الراوية، والثانى يتعلق باستدعاء الوليد له، خَلَط الرواة بينهما، وغَيَّروا فيهما، واسْتَغَلُّوا ما ولَّدُوه منهما للتشهير بالوليد. أما الخبر الأول فأورده أبو الفرج عن سلسلتين من الرواة مرفوعاً إلى حماد الراوية، وهو يقول فيه: كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفونى لذلك دون سائر أهله من بنى أمية فى أيام يزيد. فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفتُه، فمكثت فى بيتى سنةً لا أخرج إلاَّ لمن أثق به من إخوانى سِرًّا. فلما لم أسمع أحداً يذكرنى سنةً أمنت فخرجت فَصَلَّيْتُ الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل، فإذا شرطيان قد وقَفَا علىَّ فقالا: يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر، فقلت فى نفسى: من هذا كنت أحذر... فاستسلمت فى أيديهما، وصرت إلى يوسف بن عمر، فسلمت عليه، فردَّ على السلام، ورمى إلىّ كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد، فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حمّادٍ الراوية مَنْ يأتيك به

---

(٢٠٨) أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثانى ص: ٣٠٩، وعيون التواريخ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥، الورقة ٢٦ ظ، والأغانى ٧: ١٨، والمختصر فى أخبار البشر ١: ٢٠٦، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة - للقلقشندى ١: ١٥.

(٢٠٩) الأغانى ١٤: ٣٣٥.

غير مَرُوَّعٍ ولا مُتَعْتَعٍ ، وادفع إليه خمسمائة دينار وَجَملاً مَهْرِيًّا يسير عليه إلى دمشق » ، فأخذت الخمسمائة الدينار ، ونظرت فإذا جَمَلٌ مَرْحُولٌ ، فوضعت رجلى فى الغَرْزِ ، وسرت اثنتى عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنتُ فأُذِن لى ، فدخلت عليه . . . فسلمت فَرَدَّ عَلَىَّ ، واستَدْنانى فدنوت حتى قَبَّلْتُ رجله ، وإذا جاريتان لم أر قَبْلَهما مِثْلَهُما ، فقال لى : كيف أنت يا حماد ، وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال : بعثت إليك لِبَيْتٍ خطر ببالى لم أُدْرِ مَنْ قاله ، قلت : وما هو ؟ فقال :

فَدَعَوْا بالصَّبُوح يوماً فَجاءتْ قَينةٌ فى يَمِينها إبْرِيقُ

قلت : هذا يقوله عدى بن زيد فى قصيدة له ، قال : فأنشدنيها ، فانشدته :

بَكَرَ العاذِلونَ فى وَضَحِ الصُّبْـــــحِ يقولونَ لى ألا تَسْتَفِيقُ

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنت والله يا حماد ، يا جارية اسقيه ، فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى ، وقال : أعد ، فأعدت ، فاستَخَفَّه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه ، فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى . فقلت : إن سقتنى الثالثة افتضحت ، فقال : سَلْ حوائجك . فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين . فقال : هما جميعاً لك بما عليهما ومالها »[٢١٠] .

وحَمَل الخَبَرَ بنصه دون حذفٍ منه أو اختصارٍ له ابن الأنبارى[٢١١] ، وياقوت الحموى[٢١٢] ، وابن خلكان[٢١٣] ، وعبد القادر البغدادى[٢١٤] .

وأما الخبر الثانى فرواه أبو الفرج فقال : « أخبرنى إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنى عمر بن شبة ، قال : حَدَّثنا إسحاق ، وأخبرنى به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدى ، عن حماد الراوية قال : « كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أما بعد ، فإذا قرأت كتابى هذا فَسَرِّحْ إلىَّ حماداً الراوية على ما أحَبَّ من دَوابِّ البريد ، وأعطه عشرة آلاف درهم يَتَهَيَّأْ بها . قال : فأتاه الكتاب وأنا عنده ، فَنَبَذَهُ إلى ، فقلت : السمع والطاعة . . . فخرجت حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبَخْراء . فاستأذنت عليه ، فَأُذِنَ لى ، وإذا عنده

---

(٢١٠) الأغانى ٦ : ٧٤ .

(٢١١) نزهة الألباء ص : ٣٥ .

(٢١٢) معجم الأدباء ٤ : ١٣٧ .

(٢١٣) وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٧ .

(٢١٤) خزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

معبد ومالك بن أبى السَّمْحِ وأبو كامل مولاه ، فتركنى حتى سَكَنَ جأشى ، ثم قال : أنشدنى :

أَمِنَ المَنونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّع

فأنشدته حتى أتيت على آخرها . فقال لساقيه : ياسبرة ، اسقه فسقانى ثلاث أكؤس خَثَّرْنَ ما بين الذُّؤابةِ والنَّعْل ، ثم قال : يامالك . غَنِّنِى :

أَلاَ هَلْ هَاجَكَ الأظعا نُ إذْ جَاوَزتَ مُطَّلَحا

ففعل . ثم قال له غَنِّنى :

جَلا أُمَيَّةُ عَنِّى كُلَّ مَظْلَمةٍ سَهْلُ الحجابِ وأَوْفَى بالذى وَعَدَا

ففعل . ثم قال له : غَنِّنى :

أَتَنْسَى أَنْ تُوَدِّعَنَا سليمى بِفَرْعِ بَشَامةٍ سُقِىَ البَشَامُ

ففعل . ثم قال : ياسبرة ، اسقنى ، فأتاه بقَدحٍ مُعَوَّجٍ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجل الذى طلبت بالباب ، قال : أَدْخِلْهُ ، فدخل شاب لم أَرَ شَاباً أحسنَ وَجْهاً منه ، فقال : ياسبرة ، اسقه ، فسقاه كأساً ، ثم قال له : غَنِّنى :

وهىَ إذْ ذَاكَ عليها مِئْزَر ولها بَيْتُ جَوارٍ مِنْ لُعَبْ

فغناه ، ثم قال له : غَنِّنى :

طَافَ الخيالُ فَمَرْحَباً أَلْفاً بِرُؤْيةِ زَيْنَبَا

فغضب معبد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مقبلون عليك بأقْدَارِنَا وأَسْنَاننا ، وإنك تركتنا بمزجر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبى ! فقال : والله يا أبا عباد ، ما جهلتُ قَدْرَكَ ولا سِنَّكَ ، ولكن هذا الغلام طرحنى فى مثل الطياجن من حرارة غنائه . قال حماد الراوية : فسألت عن الغلام ، فقيل لى : هو ابن عائشة »[٢١٥] .

وساق أبو الفرج خبر استدعاء الوليد لحماد بسنديرقى إلى الأصمعى[٢١٦] ولا تختلف رواية الأصمعى للخبر عن رواية عمر بن شبة ، ورواية الهيثم بن عدى له ، مما يدل على صحة الخبر ، وأن الهيثم بن عدى رواه بِنَصِّه دون تحريفٍ له أو تحويرٍ فيه . وإجماع الرواة والعلماء على خبر استزارة هشام لحماد ، وخبر استزارة الوليد له دليل آخر يُوَثِّق الخبرين .

ولكن الهيثم بن عدى لم يلبث أنْ مَزَجَ بين خبر استقدام هشام لحماد ، وخبرا استقدام الوليد له ، وأخبار الوليد الأخرى ، وأَلَّفَ منها خبراً ثالثاً يدمغ الوليد بالاستهتار ، ويصف هشاماً بالوقار . وحمل

(٢١٥) الأغانى ٢ : ٢٠٩ .

(٢١٦) الأغانى ٦ : ٧٨ .

الخبر الذى أَلَّفَه الهيمُ بن عدى رواة اليمنية ، وتلاميذهم ، وكانوا جميعاً ممالئين للعباسيين . وأخذ أبو الفرج الخبر عنهم فقال : « أخبرنى محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن الهيثم ابن عدى عن حماد الراوية ، وأخبرنى به محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسى قال : حدثنا العمرى عن الهيثم بن عدى عن حماد الراوية ، ولفظ الرجلين كالمتقارب ، قال : استقدمنى هشام بن عبد الملك فى خلافته ، وأمر لى بِصلةٍ سَنيةٍ وحُمْلان ، فلما دخلت عليه استنشدنى قصيدة الأفوه الأودى :

لنا مَعاشِرُ لم يَبْنُوا لِقَوْمِهِمُ وإنْ بَنَى قَوْمُهُمْ ما أَفْسَدُوا عَادُوا

قال : فأنشدته إياها . ثم استنشدنى قول أبى ذؤيب الهذلى :

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ

فأنشدته إياها . ثم استنشدنى قول عدى بن زيد :

أَرَواح مُـوَدِّع أم بُكُـورُ

فأنشدته إياها . فأمر لى بمنزلٍ وجراية ، وأقمت عنده شهراً ، فسألنى عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسن أخلاقها ، وأنا أخبره وأنشده . ثم أمر لى بجائزة وخِلْعَة وحُمْلان ، وردنى إلى الكوفة . **فَعَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَهُ مُقْبِل** » .

ثم استقدمنى الوليد بن يزيد بعده ، فما سألنى عن شىء من الجِدِّ إلاَّ مرةً واحدة . ثم جعلت أنشده بعدها فى ذلك النحو ، فلا يلتفت إليه ، ولا يَهَشُّ إلى شىء منه ، حتى جرى ذكر عمار ذى كناز ، فَتَشَوَّقَهُ . وسأل عنه ، وما ظننتُ أن شعر عمار شىء يُراد أو يُعبَأ به ، ثم قال لى : هل عندك شىء من شعره ؟ فقلت : نعم ، أنا أحفظ قصيدةً له ، وكنت لكثرة عَبَثى به قد حفظتها . فأنشدته قصيدته التى يقول فيها :

حَـبَّـذا أنتِ يَـا سَلاَّ مَـةُ أَلْـفَـيْـنِ حَـبَّـذَا

قال : فضحك الوليد حتى سقط على قفاه ، وَصَفَّقَ بِيَدَيْه وَرِجْلَيْهِ ! وأمر بالشراب فَأُحْضِرَ ، وأمرنى بالإنشاد ، فجعلت أنشده هذه الأبيات ، وأكررها عليه ، وهو يشرب ، ويُصَفِّق حتى سكر ، وأمر لى بِحُلَّتَيْن وثلاثين ألف درهم ، فَقَبَضْتُها »[٢١٧] .

فالهيثم بن عدى الطائى الذى اتَّهمه بعض من ترجموا له بقلة التدقيق فى روايته للأخبار[٢١٨]

---

(٢١٧) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢١٨) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٤٢ .

واتهمه بعضهم بالتدليس والدس[٢١٩] ينفرد بهذه الرواية للخبر ، إذ لم يشركه فى نقلها عن حماد الراوية أحد من الإخباريين . وتَلَقَّفَها منه محمد بن مزيد الخزاعى الذى وصفه العلماء بأنه وَضَّاعٌ غير ثقة[٢٢٠] ومحمد ابن خلف بن المرزبان رَبِيبُ اليمنيين والعباسيين[٢٢١] .

وتُغَايِرُ روايةُ الهيثم بن عدى للخبر روايةَ الخبرين السابقين مغايرة واضحة ، فقد نقل الهيثم من خبر استيفاد الوليد لحماد استنشادَ الوليد له بَعْضَ الشعر الصالح ، وأقحمه فى خبر استدعاء هشام لحماد ، وحذف منه مراجعة هشام لحماد فى وصف عدى بن زيد للخمر ، إذ نسب سؤال الوليد لحماد عن عينية أبى ذؤيب الهذلى إلى هشام . واختار من بعض أخبار الوليد وحماد الأخرى المقاطع التى تُصَوِّرُ لجاجة الوليد فى جلب الشعر الخمرى والهزلى البذىء ، وضمها إلى الخبر الذى لَفَّقه ، وأسقط منها المقاطع التى تشير إلى استنشاده لحماد ضُرُوباً من الشعر الجيد . وقد اقتبس الهيثم سؤال الوليد لحماد عن شىء من شعر عَمَّار ذى كناز من هذا الخبر الذى رواه أبو الفرج عن شيوخه فقال : أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنى الحسين بن محمد بن أبى طالب الدينارى قال : حدثنى إسحاق الموصلى قال : قال حماد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إلى بمائتى دينار ، وأمر يوسف بن عمر بحمْلى إليه على البريد . قال : فقلت : لا يسألنى إلا عن طرَفَيْه : قريش وثقيف ، فنظرت فى كِتَابَىْ قريش وثقيف . فلما قدمت عليه سألنى عن أشعار بَلِىٍّ ، فأنشدته منها ما استحسنه ، ثم قال : أنشدنى فى الشراب ، فأنشدته :

اِصْبَحِ الْقَوْمَ قَهْوَةً فِى أَبَارِيـ ... ـقَ تُحْتَذَى

فقال : أَعِدْهَا ، فأَعَدْتُها »[٢٢٢] .

ونَسَبَ الرواة من موالى العباسيين إلى المدائنى رواية رابعة لخبر استقدام الوليد لحمادٍ الراوية ، ليس فيها إلاّ أن الوليد سأل حماداً عن قصيدة عدى بن زيد القافية فى وصف الخبر ، وأخذ أبو الفرج الرواية عنهم فقال : « أخبرنى الحسن بن على عن أحمد بن الحارث عن المدائنى ، قال : قال حماد الراوية : استدعانى الوليد بن يزيد ، وأَمَر لى بألفين لِنَفَقتى ، وألفين لِعيالى. فقدمت عليه ، فلما دخلت داره قال لى الخدم ، أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فَسَلَّمْتُ بالخلافة ، فقال لى : ياحماد ! قلت : لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين ، قال : « ثم ثَارُوا » . فلم أَدْرِ ما يعنى . فقال : ويحك

(٢١٩) ضحى الإسلام ٢ : ٣٥٧ .

(٢٢٠) تاريخ بغداد ٣ : ٢٨٨ ، وميزان الاعتدال ٤ : ٣٤ ، والمغنى فى الضعفاء ١ : ٦٣٢ ، ولسان الميزان ٥ : ٣٧٧ .

(٢٢١) تاريخ بغداد ٥ : ٢٣٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٥٣٨ ، ولسان الميزان ٥ : ١٥٧ .

(٢٢٢) الأغانى ٦ : ٩٤ .

ياحماد ! « ثم ثاروا » فقلت فى نفسى : راوية أهل العراق لا يدرى عَمَّا يُسْأَل ! ثم تَنَبَّهْتُ فقلت :

ثُمَّ ثَارُوا إلى الصَّبُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ فِى يَمِينِهَا إِبْرِيقُ[٢٢٣]

فالحسن بن علىٍ مولى عبد الصمد الهاشمى ، ينقل عن أحمد بن الحارث الخراز ، مولى أبى جعفر المنصور[٢٢٤] أنه أخذ هذه الرواية للخبر عن شيخه المدائنى البصرى . وهى تناقض خبر استحضار الوليد لحماد الذى ذكره عمر بن شبَّة والأصمعى ، البصريان المعاصران للمدائنى ، وتشبه أن تكون اختصاراً وتلخيصاً لخبر استيفاء هشام لحماد .

ذلك وَجْهٌ من وُجُوهِ الإفساد والتشْويه والتَّوْجيه لبعض أخبار الوليد التى تدل على غرامه بالشعر الخمرى والهزلى ، كان المراد منه القدح فى الوليد ، ونسبة أخبار غيره من الخلفاء إليه ، مع التحريف فيها لتضخيم مجانته . وثمة وَجْه آخر يَتَمَثَّلُ فى استغلال حب استقدام الوليد لحماد الراوية استغلالاً جديداً ، كان المقصود به تجريح بنى أمية ، ومديح قادة العباسيين وأوليائهم ، ثم تطور ، واستغل للثناء على العباسيين وخلفائهم .

وهذه الصورة الخامسة للخبر التى رَوَّجَها الرواة من موالى العباسيين ، كالحسن بن على ، ومن اليمنية الذين كانوا يجاملون العباسيين ، كهشام بن محمد بن السائب الكلبى ، تُوَضِّح عَبَثَهم به ، وتَوْجيههم له . وهى صورة يتفق القدماء على أن ابن الكلبى هو الذى لَفَقها وأذاعها . فقد حملها البلاذرى عنه ، ونَصَّ على أنه صاحبها[٢٢٥] ، وأسندها إليه أبو الفرج وشيوخه ، إذ يقول : « أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الله ابن أبى سعد عن ابن الصباح عن ابن الكلبى عن حماد الراوية قال : دخلت يوماً على الوليد ، وكان آخر يوم لقيته فيه ، فاستنشدنى ، فأنشدته كلَّ ضَرْبٍ من شعر أهل الجاهلية والإسلام فما هَشَّ لشئ منه ، حتى أخذتُ فى السُّخْفِ ، فأنشدته لعمَّار ذى كناز :

أَشْتَهِى مِنْكِ مِنْكِ مِنْـــكِ مَكَاناً مُجَنْبَذَا[٢٢٦]

فضحك حتى استلقى وطرب . ودعا بالشراب فشرب ، وجعل يستعيدنى الأبيات ، فأعيدها حتى سكر ، وأَمَرَ لى بجائزةٍ ، **فَعَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَهُ قد أَدْبَرَ** .

ثم دخلت على أبى مسلم ، فاستنشدنى ، فأنشدته قول الأفوه :

لَنَا مَعَاشِرُ لم يَبْنُوا لِقَوْمِهِمُ

---

(٢٢٣) الأغانى ٧ : ٤٥ .

(٢٢٤) تاريخ بغداد ٤ : ١٢٢ .

(٢٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٢٣ ، ٣٥٢ .

(٢٢٦) المجنبذ : المرتفع .

فلما بلغت إلى قوله :

تُهْدَى الأمورُ بأهلِ الرُّشْدِ ما فَلَحَتْ فإنْ تَوَلَّتْ فبالأشْرارِ تَنْقَادُ

قال : أنا ذاك الذى تنقاد به الناس . **فأيْقَنْتُ أَنَّ أَمْرَهُ مُقْبِلٌ** »[٢٢٧] .

وتقترب هذه الرواية للخبر من رواية الهيثم بن عدى له ، التى استَقَلَّ بها[٢٢٨] ولكن ابن الكلبى عَدَّلَ فيها ، إذ حذف منها اسم هشام بن عبد الملك ، أو أَحَلَّ مَحلَّهُ اسم أبى مسلم الخراسانى . ولم يَعُدْ الخبر عنده آيةً على مجانةِ الوليد ، بل استحالَ شاهداً على انهيار الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية ، ولم يعُدْ هشامٌ هو الذى يسأل حماداً عن شعر الأفوه الأودى ، بل أصبح أبو مسلم هو الذى يسأله عنه . ولم يعد أمر هشام هو المُقْبِل ، بل أصبح أمر أبى مسلم هو المُقْبِل !

ولم يكن لابن الكلبى وغيره من الرواة الوضاعين غاية من توليد هذه الأخبار سوى تأييد العباسيين وكانوا يتسرعون فيما يولِّدون ، وينسون حقائق التاريخ التى تكشف عن ضَعْفه ، وتَقْطَعُ بِتَزْييفه . فابن الكلبى ينسب إلى حماد الراوية فى الخبر أنه بَشَّرَ بانتهاء الدولة الأموية ، وابتداء الدولة العباسية ، ويُسْتَبْعَدُ أن يُبشِّر حمادٌ بذلك ، لأنه كان راوية بنى أمية وعالمهم[٢٢٩] ، وقد تَحَسَّر طويلاً على عهودهم وما أصابه فيها من نباهةٍ وسعةٍ ، وذَمَّ العباسيين وما آل إليه حاله فى أيامهم من خمول وضعة ، إذ يروى عنه أنه كان يقول : « إن دولتى كانت مع بنى أمية ، ومالى عند هؤلاء (العباسيين) من خير »[٢٣٠] وهو يُصَوِّرُ فيه أبا مسلم شخصيةً ظاهرةً بالكوفة لها دَوْرُها العَلَنِىُّ ، وأنه لم يكن يَتَستَّرُ على تَحَرُّكاته واتِّصالاته فى سنة خمس وعشرين ومائة ، مما يَنْقُضُهُ ما التزم به العباسيون فى المرحلة السرية لثورتهم من تكتُّمٍ شديد على دُعاتِهم وقادتهم وأهدافهم حتى سنة تسع وعشرين ومائة[٢٣١] .

وَلَفَّقَ رواة العباسيين المجهولون من رواية ابن الكلبى للخبر خبراً سادساً . أسقطوا منه اسم أبى مسلم ، واستعاضوا عنه باسم المهدى . إذ يقول ابن النديم : « قال حماد : كنت أنشد الوليد الشعر الجيد ، فيطلب منى السَّفْساف ، فأنشده فيطرب ، **فأعلم أنَّ الأمر مُدْبِرٌ** . ثم أنشد المهدى السفساف ، فيطلب منى الجَيِّدَ الفَحْلَ ، **فأعلم أنَّ أمرهم مقبل** »[٢٣٢] .

---

(٢٢٧) الأغانى ٧ : ٥٧ .

(٢٢٨) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢٢٩) معجم الأدباء ٤ : ١٣٧ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

(٢٣٠) الأغانى ٦ : ٨٢ .

(٢٣١) العصر العباسى الأول ، للدكتور عبد العزيز الدورى ص : ٢٥ ، وأنظر الأخبار الطوال ص : ٣٣٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٣ .

(٢٣٢) الفهرست ص : ٩١ .

فأمر الوليد وبنى أمية فى هذه الصورة المحرفة من الخبر هو الذى كان مُدْبراً ، وأمر المهدى وبنى العباس هو الذى غدا مُقْبلاً ! وليس مُهماً عن مُحرِّف الخبر أن يُحْكِمَ تأليفه وتلفيقه ، فينتخب شخصاً عباسيا معاصراً للوليد بن يزيد ، حتى يخْفِيَ ما صَنَعَ ، ولايُشَكّ فيما وَضَع ، بل المهم فى الخبر المخترع أن يدل على إقبال أمر العباسيين ، وأنْ يكون المهدى رَمْزاً لهذا الإقبال ، وإن لم تطابق أحداث الخبر وشخصياته وقائع التاريخ ! ومعروف أن المهدى لم يكن ولدَ سنة خمس وعشرين ومائة ، وأنه كان طفلاً صغيراً لم يجاوز العام الأول من عمره حين قتل الوليد سنة ست وعشرين ومائة ، فإن المهدى مات سنة تسع وستين ومائة وله ثلاث وأربعون سنة(٢٣٣).

تلك هى العلوم الإسلامية والتاريخية والأدبية التى جَدَّ الوليد فى طلبها واستيعابها فى مرحلة شبابه وولايته للعهد ، وفى أيام خلافته ، وواضح أن عنايته بالمعارف الإسلامية والتاريخية كانت بمنجاة من المَسْخِ والاستغلال ، لأن أخبارها لم تكن تحتمل التعديل والتوليد ، ولكن اهتمامه بالمباحث الأدبية هو الذى انهال الرواة المتحيزون على أخباره التى تُبَيِّنُ شَغَفَ الوليد بالشعر الخمرى والهزلى تشويهاً وتحريفاً وتوجيهاً لأنها كانت تستجيب لذلك ، فأفسدوها ، واتخذوا ما اخترعوه منها سبباً لِتَنَقُّصه وتهويل خلاعته ، ثم اتخذوه وسيلة للإزراء بالأمويين والثناء على العباسيين !

(٢٣٣) تاريخ الطبرى ٨ : ١٧١ .